إنتفاضة صفر عام ١٩٧٧
((دراسة وثائقية تحليلية))

أ .د . رحيم عبد الحسين عباس
كلية التربية للعلوم الإنسانية/جامعة كربلاء
Raheem.a@uokerbala.edu.iq

ملخص البحث :

تعد انتفاضة أهالي مدينة النجف الأشرف عام ١٩٧٧ واحدة من أهم الأحداث الشعبية الكبيرة التي شهدها العراق أبان حكم حزب البعث (١٩٦٨ - ٢٠٠٣)، فضلاً عن كونها منعطفاً تأريخيا مهماً أظهر مدى عداء حزب البعث للإسلام عموماً والشعائر الحسينية خصوصاً ، زيادةً على عدائه للحوزة العلمية في النجف الأشرف بوصفها واحدة من أهم الواجهات الإسلامية ، وعلى الرغم من أهمية الحدث فانه لم يحظ بالاهتمام الكافي من الباحثين ، بل لم يجد الباحث ، في حدود ما أمكنه الإطلاع عليه ، أي دراسة أكاديمية معززة بالوثائق تناولت الحدث بالتفصيل ، ولما كان الموضوع على هذا المستوى من الأهمية لذا حاول الباحث تسليط المزيد من الأضواء عليه ١للكشف عن الجوانب الخفية فيه وبخاصة بعد ما توافرت للباحث مجموعة من الوثائق التي لم يكشف النقاب عنها من قبل، آملاً في أن يوفق في إعطاء الموضوع حقه . قُسم البحث على مقدمة واربعة مباحث وخاتمة ، تناول المبحث الأول مشروعية زيارة الاربعين وعمقها التاريخي ،وكرس المبحث الثاني للأسباب المباشرة وغير المباشرة للانتفاضة ، فيما خصص المبحث الثالث لإحداث الانتفاضة ، وتطرق المبحث الرابع إلى مجريات التحقيق والمحاكمة الصورية التي أجريت للعديد من المعتقلين بتهمة المشاركة في الانتفاضة . وقد تضمنت الخاتمة الاستنتاجات التي توصل إليها الباحث.اعتمد البحث بصورة رئيسة على وثائق لجنة تاريخ حزب البعث المقبور المحفوظة في مدرسة الإعداد الحزبي (سابقا)في بغداد ، وهي محفوظة في مكتبة حركة الوفاق الوطني ببغداد أيضا، وسأرمز إلى وثائق تلك اللجنة بالرمز(ل.ت.ح.ب .). وقد اغتنا بالمعلومات الملفة المرقمة (٢٦١) التي حملت العنوان ((أحداث كربلاء والنجف ١٩٧٧))، اذ ضمت تقارير مفصلة بشأن الموضوع الذي نحن بصدد معالجته .

الكلمات المفتاحية : زيارة الأربعين ، انتفاضة ١٩٧٧ ، احداث خان النص ، انتفاضة النجف .

The Safar Uprising of 1977

(An Analytical Documentary Study)

Prof.Dr. Raheem Abdul-Hussein Abbas
College of Education for Humanities Department of History
University of Karbala

Abstract

The Safar uprising of 1977 in Najaf is one of the most significant popular events in Iraq during the Ba'ath Party's rule (1968 - 2003). It marked a historic turning point that highlighted the Ba'ath Party's hostility towards Islam in general and the Hussaini rituals in particular, as well as its antagonism towards the religious seminary in Najaf, one of the foremost Islamic institutions. Despite its importance, this event has not received sufficient attention from researchers, with no comprehensive academic study supported by documents. Therefore, the researcher aimed to shed light on the hidden aspects of this event, especially after acquiring previously undisclosed documents, hoping to give the topic its due consideration.

The study is divided into an introduction, four chapters, and a conclusion. The first chapter discusses the legitimacy and historical depth of the Arbaeen pilgrimage. The second chapter addresses the direct and indirect causes of the uprising, while the third chapter covers the events of the uprising. The fourth chapter examines the investigation process and the show trials conducted for many detainees accused of participating in the uprising. The conclusion presents the researcher's findings.

The study primarily relied on documents from the Ba'ath Party History Committee, preserved in the Party Preparation School (formerly) in Baghdad, and also available in the National Accord Movement Library in Baghdad, referred to as (L.T.H.B.). These documents provided valuable information, especially document number 261 titled "The Events of Karbala and Najaf 1977," which included detailed reports on the topic under study.

Keywords: Arbaeen pilgrimage, 1977 uprising, Khan al-Nus events, Najaf uprising

المقدمة :

تعد انتفاضة أهالي مدينة النجف الأشرف عام ١٩٧٧ واحدة من أهم الأحداث الشعبية الكبيرة التي شهدها العراق أبان حكم حزب البعث المقبور (١٩٦٨ - ٢٠٠٣)، فضلاً عن كونها منعطفاً تأريخيا مهماً أظهر مدى عداء حزب البعث المقبور للإسلام عموماً والشعائر الحسينية خاصة، بالإضافة الى عدائه للحوزة العلمية في النجف الأشرف بوصفها واحدة من أهم الواجهات الإسلامية ، وعلى الرغم من أهمية الحدث فانه لم يحظ بالاهتمام الكافي من الباحثين ، بل لم يجد الباحث ، في حدود ما أمكنه الإطلاع عليه ، أي دراسة أكاديمية معززة بالوثائق تناولت الحدث بالتفصيل ، ولما كان الموضوع على هذا المستوى من الأهمية حاول الباحث تسليط المزيد من الأضواء عليه للكشف عن الجوانب الخفية فيه ،وبخاصة بعد ما توافرت للباحث مجموعة من الوثائق التي لم يكشف النقاب عنها من قبل، آملاً في أن يوفق في إعطاء الموضوع حقه .

قُسم البحث على مقدمة واربعة مباحث وخاتمة ، تناول المبحث الأول مشروعية زيارة الاربعين وعمقها التاريخي ،وكرس المبحث الثاني للأسباب المباشرة وغير المباشرة للانتفاضة ، فيما خصص المبحث الثالث لأحداث الانتفاضة ، وتطرق المبحث الرابع إلى مجريات التحقيق والمحاكمة الصورية التي أجريت للعديد من المعتقلين بتهمة المشاركة في الانتفاضة . وقد تضمنت الخاتمة الاستنتاجات التي توصل إليها الباحث.

اعتمد البحث اعتمادا رئيساً على وثائق لجنة تاريخ حزب البعث المقبور المحفوظة في مدرسة الإعداد الحزبي (سابقا)في بغداد ، وهي محفوظة في مكتبة حركة الوفاق الوطني ببغداد أيضا، وسأرمز إلى وثائق تلك اللجنة بالرمز(ل.ت.ح.ب .). وقد اغنتنا بالمعلومات الملفة المرقمة (٢٦١) التي حملت العنوان ((أحداث كربلاء والنجف ١٩٧٧)) ، اذ ضمت تقارير مفصلة بشأن الموضوع الذي نحن بصدد معالجته.

وأسهمت بعض المصادر في سد ثغرات عديدة من البحث ، وكانت على قدر كبير من الأهمية ، ولعل أاهم هذه المصادر كتاب السيد رعد الموسوي الموسوم : (انتفاضة صفر الاسلامية في العراق ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م)وكتاب علي المؤمن المعنون : (سنوات الجمر- مسيرة الحركة الإسلامية في العراق ١٩٥٧- ١٩٨٦) ، وكتاب مؤسسة تراث الشهيد الحكيم الموسوم :

(انتفاضة صفر وشهيد المحراب) . كما وفرت الصحف بعض المعلومات التي غطت جوانب مهمة من البحث.

واجهت الباحث العديد من الصعوبات لعل اهمها عدم تمكنه من اجراء

المقابلات مع كثير من اصحاب الادوار الرئيسة في الانتفاضة ، نظراً لوفاة أو هجرة معظمهم، فضلاً عن صعوبة الوصول الى بعض الشخصيات التي كانت تشغل مناصب رسمية من ضباط أو أعضاء في حزب البعث (المحظور)ممن كانوا على صلة مباشرة بمجريات الأحداث ، ويعزى هذا الامر إلى أسباب أمنية كوننا لازلنا قريبي العهد من الحدث . هذا زيادة على قلة المصادر التي تناولت موضوع البحث .

أولاً : مشروعية زيارة الأربعين وعمقها التاريخي

١-مشروعية الزيارة والمسير

اضحت الملحمة الحسينية الروح التي تبث قيم العطاء اللإسلامي والانساني على مر الاجيال ، وذلك عبر احياء شعائرها (أبو فرج الأصفهاني،ع. ب. ح. (د.ت). مقاتل الطالبين. أصفهان، ص. ٧٧-٩٧) ، ومن هذه الشعائر هي شعيرة زيارة مرقد الامام الحسين ﷺ سيراً على الاقدام في ذكرى يوم الأربعين بعد استشهاده ﷺ ، فما هو الدليل على مشروعية الزيارة في هذه الذكرى ، فضلاً عن مشروعية الذهاب الى الزيارة مشياً ، وهذا ما سنحاول تسليط الضوء عليه في هذا المحور من البحث .

تكاد تجمع مختلف المذاهب الإسلامية على أن كل الأشياء مباحة ما لم يرد دليل شرعي على حرمته ، وهذا ما ذهب إليه الشافعي ومالك وأحمد بن حنبل وكثير من علماء الحنفية بالاستناد على القاعدة التي تقول : ((الأصل في الأشياء الإباحة حتى يدل الدليل على التحريم)) (آلياسين، ر. (١٩٧٩). صلح الحسين ﷺ (ط. ٤). بيروت، ص. ٢٣٤-٢٠٦. البدري، س. (٢٠٢٠). صلح الحسين ﷺ: قراءة جديدة في الخلفيات والنتائج. النجف الأشرف، ص. ٢٣-٢٨.) . وهو عين

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
رمضان-١٤٤٦ ,آذار ٢٠٢٥

ما ذهب اليه فقهاء الشيعة اللإمامية بأن : ((الأصل في الأشياء الإباحة حتى يرد فيها نهي ، فهم لا يخطئون من يفعل شيئا لا يعلم المنع عنه ... فمن قال : هذا حلال ، أو هذا طاهر ، لا يسأل عن الدليل وإنما يطلب الدليل ممن يدعي التحريم أو النجاسة ، لأن الأصل في الاشياء الحل والطهارة حتى يثبت العكس)) (ابن الأثير، ع. م. الشيباني. (٢٠١٢). الكامل في التاريخ (ج. ٣). بيروت، ص. ٩٧-١٠٣.) . وعلى وفق هذه القاعدة المتفق عليها بين العديد من المذاهب فان الذهاب مشياً على الأقدام لغرض الزيارة أمر مباح ، لا بل توجد العديد من الروايات والأحاديث التي تؤكد بأن الذهاب لقصد الزيارة مشياً أعظم أجراً وثواباً منها راكباً .

حث رسول الله محمد صلى الله عليه وإله على السير لكل طاعة ، وتمسك بهذا النهج أهل بيته ﷺ وجملة من الصحابة والتابعين والعلماء ، فأحيوا مجموعة من الطاعات سيراً على الأقدام تأسياً بالرسول الكريم صلى الله عليه وإله وسنته ، إذ روي عنه صلى الله عليه وإله بخصوص المشي لنصرة المظلوم إنه قال : ((من مشى مع مظلوم حتى يثبت له حقه ، ثبت الله تعالى قدميه يوم تزل الاقدام)) . وكذلك قال صلى الله عليه واله لأمير المؤمنين علي ﷺ : ((والله لتقتلن بأرض العراق وتدفن بها ... يا أبا الحسن إن الله جعل قبرك وقبر ولدك من بقاع الجنة وعرصة من عرصاتها ، وإن الله جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوته من عباده تحن اليكم وتحتمل المذلة والأذى فيكم فيعمرون قبوركم ويكثرون زيارتها تقربا منهم إلى الله مودة منهم لرسوله أولئك يا علي المخصوصون بشفاعتي)) (القريشي، ب. ش. (١٩٧٥). حياة الإمام الحسين ﷺ (ج. ٢). النجف الأشرف، ص. ٢٠٨.) .

وبخصوص قصد زيارة الإمام الحسين ﷺ مشياً روي عن الإمام جعفر بن

محمد الصادق عليه السلام إنه قال : ((من خرج من منزله يريد زياره قبر الحسين عليه السلام إن كان ماشيا كتب الله له بكل خطوة حسنة ومحى عنه سيئة ...)) (ابن الأثير، ع. م. (المصدر السابق). ص. ٥٨.) وعن الامام علي بن موسى الرضا عليهما السلام عليه قال : ((إن لكل إمام عهدا في عنق أوليائه وشيعته وإن من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم ، فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقا بما رغبوا فيه كان أئمتهم شفعائهم يوم القيامة)) (القريشي، ب. ش. (المصدر السابق). ص. ٢٠٩.) . وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام دعاء غاية في الروعة لزوار الحسين عليه السلام ومما قال فيه : ((اللهم يا من خصنا بالكرامة ... إغفر لي ولإخواني ، وزوار قبر إبي عبد الله الحسين ، الذين أنفقوا أموالهم ، وأشخصوا أبدانهم رغبة في برنا ، ورجاء لما عندك في صلتنا وسرورا أدخلوه على نبيك ، وإجابة منهم لإمرنا ، وغيظا أدخلوه على عدونا ، أرادوا بذلك رضوانك فكأفئهم بالرضوان ... اللهم إن أعدائنا عابوا عليهم بخروجهم فلم ينههم ذلك عن الشخوص إلينا خلافا منهم على من خالفنا ، فأرحم تلك الوجوه التي غيرتها الشمس ، وأرحم تلك الخدود التي تتقلب على حفرة أبي عبد الله الحسين عليه السلام ...)) (ابن الأثير، ع. م. (المصدر السابق). ص. ١١٩-١٢٩.) .

زياره الامام الحسين عليه السلام يوم العشرين من صفر فهي مما قام به الإمام المعصوم الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام الملقب بالسجاد بعد عودته من أسر الشام مع سبايا آل بيت النبوة مصطحباً معه رأس أبيه الشريف الذي أعاده للدفن مع الجسد الطاهر في كربلاء ، التي وصلها الإمام السجاد عليه السلام في العشرين من صفر سنة ٦٨٠م / ٦١ للهجرة ، أي بعد أربعين يوما من أستشهاد الإمام الحسين عليه السلام ، وهذا ما أكده السيد جعفر مرتضى العاملي بشيء من التفصيل في كتابه الموسوم :

(كربلاء فوق الشبهات) معتمدا فيه على أمهات المصادر (شمس الدين، م. (١٩٧٨). ثورة الحسين: ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية (ط. ٥). قم، ص. ١٧٧-١٧٩.) .

أما بالنسبة الى التوجه لزيارة الإمام الحسين ﷺ مشياً يوم الأربعين فلم يرد فيه نص خاص ، لكنه يدخل في عموم الروايات الدالة على إستحباب المشي لزيارته ﷺ، وهذا ما أكده أستاذ في الحوزة العلمية في النجف الأشرف السيد محمود المقدس الغريفي قائلاً :((وأما المسير إلى سيد الشهداء ﷺ في خصوص زيارة الأربعين (في العشرين من صفر)من كل عام ، فإنه لم يرد فيه نص خاص في السير على الأقدام إلى كربلاء ، ولكنه داخل في عموم الروايات الدالة على إستحباب المشي إلى زيارة الامام الحسين ﷺ والحث عليه)) (القريشي، ب. ش. (المصدر السابق). ص. ٣٠٥.) .

٢ _ لمحة سريعة عن موقف الحكومات من زيارة الحسين ﷺ

مرت مراسيم إحياء ذكرى أربعينية الأمام الحسين ﷺ من بعد الزيارة الاولى التي زارها الأمام السجاد ﷺ بأدوار مختلفة تراوحت ما بين الحرية في أدائها حينا والتضييق عليها أو منعها وقمع مقيميها وإنزال أقصى العقوبات بهم من غرامات وسجن وحتى القتل تارة أخرى ، وقد جاء هذا الأختلاف في التعامل مع إقامة المراسيم تبعاً لنوعية الحكومات التي كانت تمسك بزمام السلطة آنذاك من ناحية موالاتها أو أعدائها لأهل بيت النبوة ﷺ ، وتبعا للظروف الاجتماعية والسياسية التي كانت سائدة في وقتها ، وعلى وفق هذا التعليل ظل التعامل مع الزيارة خصوصا والشعائر الحسينية عموما بين مد وجزر (الموسوي المقرم، ع. ر. (١٩٥٦). مقتل الإمام الحسين ﷺ أو حديث كربلاء (ط. ٢). النجف.) . إذ مارس الأمويون

مختلف أنواع التنكيل لمنع زيارة قبر أبي عبد الله الحسين ﷺ ، وعلى الرغم من كل تلك المحاولات غير أن أئمة أهل البيت ﷺ كانوا يحثون شيعتهم على إحياء ذكرى إستشهاد الامام الحسين ﷺ وزيارته (الأسدي، ن. ح. (٢٠٠٦). محنة الأكثرية في العراق. قم، ص. ١٢١-١٢٣.) .

ولم يكن العباسيون بأقل عداء لزيارة الامام الحسين ﷺ ، على الرغم من إن شعارهم قبل إستلامهم السلطة هو : ((الرضا من آل محمد)) ، لكنهم ما إن أستلموا السلطة حتى نكصوا عنه ، لأنهم وجدوا أن ثورة الإمام الحسين ﷺ لم تكن ضد الأمويين وحسب ، بل إنها ضد كل الظالمين ، لذا رأوا في إ سم الأمام الحسين ﷺ وثورته تهديداً مباشراً لمصالحهم ، لهذا نجد أن المتوكل العباسي (٨٢٠_ ٨٦٠م)قد أمر بهدم قبر الأمام الحسين ﷺ وقطع أيدي زواره وأرجلهم ، بل وحتى رؤوسهم، فضلاً عن الضرائب الباهظة التي كانت قبل ذلك تفرض على الزوار ، بيد أن ذلك كله لم يمنع الموالين من زيارة الإمام الحسين ﷺ ، وعلى الرغم من كل هذه المصاعب كان ائمة أهل البيت ﷺ يحثون على الأستمرار في زيارة الأمام الحسين ﷺ (القريشي، ب. ش. (المصدر السابق). ص. ١٦٠-١٦١.) .

أما بشأن الحكومات الموالية لأهل البيت ﷺ ، فمع قصر أعمارها قياسا بالحكومات المعادية غير إنها رسخت إقامه الشعار الحسينية ، وتنفس مريدو أهل البيت ﷺ في ظلها الصعداء ومارسوا شعائرهم بحرية كما حصل ذلك في ظل حركة التوابين ٦٨٤م وحكومة المختار (٦٨٥_ ٦٨٦ م)(الكليدار ال طعمة، ع. ح. (٢٠١٤). بغية النبلاء في تاريخ كربلاء. كربلاء، ص. ١٦٣-١٧٢.) وايام حكم الدولتين البويهية (٩٤٥ – ١٠٥٥ م)(الغريفي، م. الم. (٢٠١٨). موسوعة

زيارة الأربعين: السير على الأقدام إلى كربلاء الحسين ﷺ: أهدافه، مشروعيته، آدابه (ج.٢). مركز تراث كربلاء، ص. ٢٧) والصفوية للعراق ، وكانت الدولة الصفوية قد مدت نفوذها على العراق لمرتين كانت الأولى ما بين عامي ١٥٠٨ و١٥٣٤ م والثانية ما بين عامي ١٦٢٣ و ١٦٣٨ ميلادية (الزحيلي، م. م. (٢٠٠٩). القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة (ج. ١، ط. ٣). دمشق، ص. ١٩٠.)، غير إن تلك الحكومات لم تدم سيطرتها على العراق طويلا وسرعان ما سقطت و أنحسر نفوذها عن العراق وجاءت بعدها حكومات مارست التضييق على الشعائر الحسينية كلما سنحت الفرصة لذلك (مغنية، م. ج. (١٩٧٩). الشيعة في الميزان (ط. ٤). بيروت، ص. ٣٤٦.) ، غير إن تلك الحكومات جميعاً لم تتمكن من القضاء على الشعار الحسينية ، إلى أن الأمر إلى حكومة حزب البعث (المحظور) الثانية التي أستولت على الحكم بعد إنقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨ والتي ورثت ظلم بن امية ومن جاء بعدهم من حكام الجور ، وتفنن البعثيون في محاربة الشعار الحسينية وبشكل ممنهج ، إلى أن وصل الأمر إلى الصدام المباشر مع الجماهير وكان ذلك في انتفاضه صفر عام ١٩٧٧ ، وهو ما سنحاول بحثه بالتفصيل في الصفحات القادمة والتي سنبتدئها بأسباب الانتفاضة .

ثانياً: أسباب الانتفاضة:

لقد تضافرت العديد من الاسباب التي أسهمت في تهيئة الاجواء لاندلاع الانتفاضة، ويمكننا تقسيمها على قسمين في ضوء ما توافر لدينا من معلومات، القسم الأول ضم الاسباب غير المباشرة فيما ضم القسم الثاني السبب المباشر.

الاسباب غير المباشرة

١-العداء المبكر من حزب البعث للتيار الإسلامي:

لم يكن العداء في العراق بين حزب البعث المقبور والتيار الإسلامي بجميع مكوناته سواء كانت شعبية أم حزبية وليد مرحلة ما بعد إستيلاء البعثيين على السلطة في العراق بعد إنقلاب تموز عام ١٩٦٨ ، بل إنّ المسألة تعود جذورها إلى ما قبل التأريخ المذكور بعدة سنوات ، وإذا ما أردنا ان نكون أكثر تحديداً فإن عام ١٩٦٠ قد شهد المواجهة الأولى بين حزب البعث والإسلاميين في مدينة النجف الأشرف ، اذ شن البعثيون في العام المذكور حملة تشهير ضد مجلة الأضواء(الغريفي، م. الم. ص. ٣٨-٤٩.) ذات الطابع الإسلامي التي تصدرها جماعة العلماء(المجلسي، م. ب. (١٩٨٣). بحار الأنوار الجامعة لدرر الأئمة الأطهار (ج. ١٠٠، ط. ٣). بيروت، ص. ١١٦.) في النجف الأشرف لأسباب تتعلق بخشية البعثيين من بروز تيار إسلامي واع تقف وراءه نخبة من العلماء والمثقفين ، إذ إِنَّ ذلك سيحرمهم من إستغلال القوى الدينية في المستقبل(الغريفي، م. الم. ص. ٤١.) ، وتتلخص تلك الحملة بالتركيز على إثارة الناس وعلماء الحوزة العلمية وطلبتها ضد المجلة عن طريق العمل على إقناعهم بأن المجلة لا تعبر عن رأي جماعة العلماء وإنما عن رأي تنظيم سياسي ديني سري يستغل أسم الجماعة ، وكانت السياسة من أشنع التهم التي يقذف بها رجال الحوزة العلمية آنذاك(الغريفي، م. الم.. ص. ٣٨-٣٩).

٢-إنتهازية (العاملي، ج. م. (٢٠٠٩). كربلاء فوق الشبهات (ط. ٣). بيروت، ص. ٥٢-٥٣.) حزب البعث :

أمتاز البعثيون بالإنتهازية (Opportunism) في سبيل الوصول إلى غاياتهم(الغريفي، م. الم. (المصدر السابق). ص. ٥٩.)، فلأجل ذلك كانوا يتحالفون ويتقربون إلى العديد من الجهات وإن أختلفت معهم آيديولوجياً ، لذا فإنهم عاضدوا الأسلاميين ضد الشيوعيين في الوقت الذي كانت فيه مدينة النجف الاشرف تشهد صراعاً حاداً بين الطرفين ما بين عامي ١٩٥٨- ١٩٦٠ ، وإن لم يكن هذا التعاون قد جاء على وفق تفاهم وتخطيط مسبق بين الجانبين ، بل إن البعثيين قد عملوا على التقرب إلى الأسلاميين في تلك المرحلة ، لأنهم رأوا أنّ ذلك يخدم صراعهم ضد الشيوعيين(الشبيبي، ك. م. (١٩٦٦). الفكر الشيعي والنزعات الصوفية حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري. بغداد.).

بدأ البعثيون مطلع الستينيات من القرن الماضي بتغيير خارطة تحالفاتهم، وذلك عندما بدءوا بمحاربة الإسلاميين (السعيدي، إ. ع. م. (٢٠١٧). المسار التاريخي لزيارة الأربعين: النشأة والتطور. مجلة السبط، كربلاء، العدد ٤، ص. ٨٣-٨٥) ، الحلفاء المفترضين ، وبخاصة بعد بداية تراجع نفوذ الشيوعيين على أثر إرتكابهم عمليات قتل جماعي بمدينة كركوك في تموز عام ١٩٥٩(سعيدي، إ. ع. م. (المصدر نفسه). ص. ٨٤-٨٥.) ، وصدور فتاوى تكفير الشيوعية من المرجعيات الدينية بمدينة النجف الأشرف في شباط عام ١٩٦٠ (الدجيلي، أ. (١٩٥٥). المختار الثقفي. النجف.) . ومن ثم تحالف البعثيون عام ١٩٦٢ مع بعض الفئات القومية الأخرى مثل بعض الضباط القوميين في الجيش وبقايا حزب الأستقلال والأتحاد الوطني للطلبة وإتحاد المعلمين وجمعيات مهنية أخرى ، وقاموا بتدبير إنقلاب ٨

شباط ١٩٦٣، عندها وجهوا ضربة قاسية للشيوعيين خاصة في الأيام الأولى للانقلاب ، ولا نجانب الحقيقة اذا ما قلنا إنّ عمليات التصفية الجسدية التي تعرض لها الشيوعيين عقب الانقلاب ترتقي الى مستوى المجزرة ، اذ وصل عدد القتلى الى (٣٤٠) قتيلاً على اقل التقديرات(منيمنة، ح. (١٩٨٧). تاريخ الدولة البويهية السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، ٣٣٤ هـ - ٤٤٧ هـ. بلا.) ، وعلى الرغم من كل ما تقدم فبعد استيلائهم على السلطة ثانية في انقلاب تموز ١٩٦٨ تحالف البعثيون مع الشيوعيين ضد الاسلاميين . وهذا ما سنشير اليه لاحقاً.

٣-علمانية (عبد الله، إ. س. (٢٠١٤). تاريخ العراق الحديث، ١٢٥٨-١٩١٨. بغداد.) حزب البعث المقبورو ارتباطاته مع اجهزة المخابرات الغربية :

يعد حزب البعث المقبورمن الاحزاب العلمانية (SECULARISM) التي تبنت الفكر القومي، ومن المعروف ان القومية باتت تعد من الانماط السياسية العلمانية، وقد اخذت معناها تأريخياً من مواجهة الدين. وهكذا اصبحت القومية، على خلاف العروبة ، تفهم مجردة عن الدين(السعيدي، إ. ع. م. ص. ٨٥-٩١.).

وفضلاً عن علمانية حزب البعث اشار احد المصادر الموصوفة بالحياد ، الى ارتباطات مشبوهة للبعث مع كل من المخابرات الامريكية والبريطانية(الأضواء (مجلة). (١٩٦٠). العدد ١. النجف، ٩ حزيران.) ، هذا بجانب ما ذكره حردان عبد الغفار التكريتي نائب الرئيس ووزير الدفاع (١٩٦٨- ١٩٧٠)واحد ابرز قادة انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨، اذ جاء في مذكراته بهذا الصدد ما نصه : ((ولو أني سئلت عن أسباب إنقلاب ١٧ تموز ، وإنقلاب ٣٠ تموز لما ترددت في الإشارة إلى واشنطن

على السؤال الاول ، وإلى بريطانيا كجواب على السؤال الثاني ... وبعد أقل من أسبوع أخبرنا صدام بأن الحكومتين أبدتا استعدادهما للتعاون إلى أقصى حد بشرطين : الأول : أن نقدم لهما تعهداً خطياً بالعمل وفق ما يرسمونه لنا . الثاني: أن نبرهن على قوتنا في الداخل)) (الحكيم، م. ب. (١٩٨٠). جماعة العلماء. طهران.). فكان من الطبيعي والحال هذه أن يكون هناك تنافر ما بين التيار الإسلامي وحزب البعث، الذي تتناقض شعاراته مع افعاله.

٤-محاربة الحوزة العلمية:

لم يرض البعثيون عن وجود كيان داخل الدولة يحظى باحترام وولاء قاعدة جماهيرية عريضة، أكثر مما تحظى به الدولة ، وكانت الحوزة العلمية هي ذلك الكيان(الحسيني، م. (٢٠٠٥). محمد باقر الصدر: حياة حافلة وفكر خلاق. بيروت، ص. ٩٨) ، لذا عمل البعثيون منذ وقت مبكر من استلامهم السلطة في العراق عام ١٩٦٨ على الحد من تأثيرها في المجتمع، لإثبات هيبة وسلطان الدولة الضعيفين في مقابل ما تحظى به الحوزة العلمية ، ولعل خير دليل على هذا التوجه القرار الذي إتخذته القيادتان القومية والقطرية لحزب البعث في العراق في اجتماعهما المعقود في ٤ نيسان ١٩٦٩ ، وقد جاء في القرار المذكور ما نصه : ((ضرورة القضاء على المرجعية الدينية باعتبارها العقبة الكبرى في طريق الحزب))(الحائري، ك. (١٩٨٧). مباحث الأصول (ج. ١، القسم الثاني). قم، ص. ٧٤.).

ويبدو واضحاً أن المقصود بالمرجعية الدينية هو الحوزة العلمية في النجف الأشرف متمثلة بمرجعيتها وعلمائها وطلابها، وهذا ما أكده أحمد حسن البكر ، الأمين العام للقيادة القطرية لحزب البعث ورئيس الجمهورية (١٩٦٨- ١٩٧٩)،

بعد اتخاذ قرار ضرب المرجعية الدينية بعدة أسابيع إذ صرح بهذا الصدد قائلاً : ((إن نجاحنا في ضرب المرجعية الشيعية سيمكننا من التحرك كما نريد لا نه سيصفي لنا الجو بالتخلص من أكبر قدرة لا مصلحة لها في التقرب من الحكم . وهي قدرة تتمتع بسلطة كبيرة على الشعب ولا تبالي بالموت وثورة العشرين ضد الأستعمار البريطاني أكبر دليل على ذلك)) (الكيالي، ع. و. (١٩٩٠). موسوعة السياسة (ج. ١، ط. ٣). بيروت، ص. ٣٤٨.).

لقد ترجمت القرارات والتصريحات الى خطوات عملية ، ولعل مسألة تسفير اعداد كبيرة من طلاب وعلماء الحوزة من غير العراقيين من اهم واولى خطوات محاربة الحوزة العلمية في النجف الأشرف ، إذ إبتدأت حملات التسفير في آيار عام١٩٦٩ ، وإنْ طالت تلك الحملات أناس آخرين من خارج الحوزة العلمية وفي مدن أخرى مثل كربلاء وبغـداد والكاظمية والحلة والناصرية ...إلخ، لكن من الواضح إن المستهدف من التسفير هم طلاب الحوزة العلمية بالدرجة الأولى، والإيرانيين منهم بصورة خاصة مع بعض الباكستانيين والأفغان والهنود(المؤمن، ع. (٢٠٠٤). سنوات الجمر: مسيرة الحركة الإسلامية في العراق، ١٩٥٧ – ١٩٨٦ (ط. ٣). بيروت، ص. ٧٠.) ، لتحجيم الحوزة العلمية كماً ونوعاً، ويكون هذا الأمر ذا مغزى واضح اذا ما علمنا إن أعداد الطلبة والأساتذة في الحوزة العلمية من غير العراقيين وبخاصة الإيرانيين يفوق عدد العراقيين ، عندئذ ندرك الهدف الحقيقي من وراء عمليات التسفير(الحسيني، م. (المصدر السابق).ص.١٥٢-١٥٧؛ العلوي، ح. (د.ت). الشيعة والدولة القومية في العراق، ١٩١٤ – ١٩٩٠ (ط. ٣). قم، ص. ٢١١-٢١٥.).

لقد تعرض من بقي من الأجانب الدارسين في الحوزة العلمية في النجف الأشرف للمضايقة وتحديد مدة الأقامة وعدم تجديدها لكثير منهم(الحائري، ك. (المصدر السابق). ص. ٧٤.) ، فضلاً عن العمل على الحد من أعداد الطلبة القادمين للدراسة في الحوزة في الوقت الذي تعرض فيه كثير من الطلاب العراقيين والعرب إلى المطاردة والمراقبة أو زج بهم في المعتقلات بدعوى إنتمائهم إلى أحزاب دينية محظورة ، هذا إلى جانب عدم إعفاء الطلاب العراقيين من الخدمة العسكرية أسوة بطلاب المدارس والجامعات الحكومية ، وهكذا أسهمت هذه الأمور في خلق جو من الرعب والضغط النفسي دفع بكثير من طلبة وأساتذة الحوزة العلمية في النجف الأشرف إلى الهجرة(طاطو، ح. (١٩٩٩). العراق: الكتاب الثالث، الشيوعيون والبعثيون والضباط الأحرار (ترجمة عفيف الرزاز، ط. ٢). بيروت، ص. ٢٢٣-٢٣٢.) .

وفي السياق نفسه أكد حردان التكريتي على أن الرئيس أحمد حسن البكر قد كلف في حزيران ١٩٦٩ لجنة مؤلفة من : طه الجزراوي وناظم كزار وعبد الوهاب كريم وشبلي العيسمي وصالح مهدي عماش ، لإعداد خطة الغاية منها تقويض كيان الحوزة العلمية(الفريجي، ع. (د.ت). موقف المرجعية من الحركة الشيوعية في العراق. قم، ص. ١٥٣-١٦١.) ، ويمكن تلمس أبرز ملامح هذا التوجه من خلال الإطلاع على بنود الخطة التي وضعتها اللجنة المذكورة ، وما تم تنفيذه منها بحسب ما جاء في مذكرات حردان عبد الغفار التكريتي الذي أشار إلى أن اللجنة المذكورة قد ناقشت الموضوع مع الأمين العام لحزب البعث ميشيل عفلق ، الذي جاء إلى العراق في زيارة عاجلة في حزيران ١٩٦٩ عقب رسالة بعث بها إلى الرئيس أحمد حسن البكر، ويبدو أن أحد أهم أسباب الزيارة هو مناقشة مسألة الحوزة العلمية والمرجعية الشيعية في النجف الاشرف وبعد المناقشة تم الأتفاق على الخطوات الآتية :

١. إستمرار الحملة ضد رجال الدين، وإعتقال اكبر عدد ممكن منهم، والإعلان عنهم كجواسيس يعملون لحساب إيران ، بدل إسرائيل ، ذلك لأن عمالة رجل الدين لإسرائيل أ مر لا يمكن تصديقه ، ولكن مادامت إيران دولة شيعية فأن من المحتمل تصديق عمالتهم لإيران...

وقد تم في تنفيذ ذلك :

- اعتقال أكثر من مائتي رجل دين من النجف وكربلاء.
- انتزاع اعترافات من بعض السياسيين بشأن تعاون رجال الدين معهم في التجسس.

٢. التسلل الى صفوف رجال الدين الشيعة في محاولة لاحتوائهم، وضرب بعضهم ببعض.

٣. اختلاق مجموعة من رجال دين مزورين، وفرضهم على الشعب باعتبار إنهم الذين يمثلون رجال الدين الواقعيين والتعامل معهم كممثلين وحيدين عن التشيع.

وقد تم في تنفيذ ذلك :

- أدخلنا ما يقرب من (١٥٠) شاب بعثي في صفوف رجال الدين.
- فرضنا على الناس التعامل مع الذين تعينهم الحكومة، وليس رجال الدين الحقيقيين
- حاولنا إغتيال موسى الصدر في بيروت بعد أن قام بتحركات ضدنا...
- أرسلنا الشيخ.... وهو عميل تقليدي للحكومات العراقية ... أرسلناه إلى بيروت وجندنا كافة وسائل الإعلام لإلقاء الضوء عليه كمرجع أعلى للطائفة الشيعية .

٤. القيام بإغتيالات فردية في صفوف رجال الدين القاطنين في إيران..لبنان..الهند...

٥. تقليص نشاطات رجال الدين وحصرها في إقامة الصلوات وإعطاء المسائل الشرعية،

وذلك بإلغاء إجازات مدارسهم ، ومستشفياتهم ومكتباتهم العامة...))(بطاطو، ح. (المصدر السابق). ص. ٢٨٢-٢٩٨.).

ويعزز ما جاء في المصادر وما ذهب إليه حردان التكريتي في مذكراته ما قد ورد في تقارير اللجنة المشرفة على التحقيق في أحداث انتفاضة النجف عام ١٩٧٧،اذ تؤكد تلك التقارير جملة من الوقائع، لعل أهمها ما جاء في الفقرتين (١) و (٤) من تقرير عزة مصطفى(الكيالي، ع. و. (المصدر السابق). (ج. ٤). ص. ١٧٩.) رئيس اللجنة المشرفة على التحقيق فيما كان يطلق عليه (أحداث الشغب في كربلاء والنجف ١٩٧٧)، أذ أوصى في الفقرة (١) من تقريره بما نصه :((استغلال التناقضات والخلافات الموجودة داخل عنصر ما يسمى بالحوزة العلمية لغرض توسيعها واستثمارها))(العلوي، ح. (المصدر السابق). ص. ٣٣٤-٣٣٦.). إن ما جاء في هذه الفقرة يتلاءم تماما مع ما جاء في الفقرة (ب) من الخطة التي أوردها حردان التكريتي في مذكراته والتي ثبتنا نصها مسبقاً. أما الفقرة (٤) فقد أوصى فيها بما نصه : ((تقديم المعونة المادية إلى طلبة العلوم الدينية ومن المرتبطين بتنظيمات الحزب لدفع الآخرين بالإنضمام [هكذا وردت في التقرير] إليه))(بطاطو، ح. (المصدر السابق). ص. ٢٨٢-٣٠٠.). ويبدو جلياً من خلال هذه الفقرة إن هنالك بعض المرتبطين بحزب البعث من بين طلبة الحوزة العلمية ، وهو ما يتناغم مع ما جاء في الفقرة (ج) من الخطة التي ذكرها حردان التكريتي ، الذي أكد كذلك على أنهم قد أدخلوا ما يقرب من (١٥٠) بعثياً في صفوف رجال الدين ، وقد ذكرنا كلا الأمرين سابقاً .

يؤكد كذلك حقيقة ما مرَّ ذكره تقريراً لوزير الداخلية عزة ابراهيم (التكريتي، ح. (١٩٨٣). مذكرات وزير الدفاع العراقي الأسبق حردان التكريتي. طرابلس، ص. ٢٨-٢٩.) تناول فيه الأوضاع العامة في مدينتي النجف الاشرف وكربلاء

المقدسة بعد أحداث انتفاضة عام ١٩٧٧، إذ أعادت الفقرة(٨) من القسم الثاني من التقرير المذكور التأكيد على ضرورة كسب المزيد من طلاب الحوزة العلمية وأبناء العلماء إلى صفوف حزب البعث، فقد جاء في هذه الفقرة ما نصه:

٥- الأهتمام من المنظمات الحزبية في أنحاء البلاد بأبناء العلماء وطلبة العلوم الدينية وكسبهم إلى الحزب))(البهادلي،ع. أ. (١٩٩٣).

الحوزة العلمية في النجف: معالمها وحركتها الإصلاحية، ١٣٣٩-١٤٠١ هـ/ ١٩٢٠-١٩٨٠ م. بيروت، ص. ٣٦١.). في حين تؤكد الفقرة (٢٤) من القسم الأول من التقرير نفسه على ضرورة الحد من أعداد الطلاب القادمين للدراسة في المدارس الدينية ، التي دعا التقرير إلى وضعها تحت الإشراف المباشر للدولة ، إذ جاء في هذه الفقرة ما نصه : ((٢٤- الحد من طلاب المدارس والذين يأتون للدارسة في المدارس الدينية دون شرط أو قيد وينبغي على وزارة الأوقاف السيطرة الكلية على عدد المدارس وتعيين المعلمين فيها وبناءها وفق أسس موحدة وتحديد عدد مقاعد كل صف ووضع شروط وأسس للدخول بها أسوة بالمدارس في جميع أنحاء العالم وتحديد عدد سنين الدراسة وتسمية الشهادة التي تمنحها هذه المدرسة وعدم السماح للطلاب بالمكوث أكثر من المدة المقررة))(التكريتي، ح. (المصدر السابق). ص. ٦١.). وهذه الأمور على خلاف نهج الدراسة الحرة الذي تسير عليه الحوزة العلمية.

وهكذا نرى أن البعثيين قد عملوا كل ما من شأنه تحجيم الحوزة العلمية والحد من تأثيرها في المجتمع من خلال القيام بعمليات التسفير، وتحديد مدة إقامة الطلاب غير العراقيين ، وتقليل عدد الطلاب الوافدين ، فضلاً عن نجاحهم في إختراقها عن طريق إدخال عناصر موالية لهم ، أو من خلال كسب بعض

طلابها إلى صفوف حزب البعث بمختلف الطرق ومنها الإغراء بالمال ، بيد أن الأمر الذي لم ينجح البعثيون في تحقيقه هو عدم تمكنهم من إبعاد الحوزة العلمية كلياً عن الإهتمام بآلام المجتمع وآماله وتطلعاته ، إذ بقي العديد من أعلام الحوزة ورجالاتها متواصلين مع قواعدهم الشعبية كل بحسب ظرفه ، كما لم يوفق البعثيين في حصر اهتمامات الحوزة بالمسائل الشرعية وإقامة الصلاة ، أي ان البعثيين كانوا يرغبون بأن تتحول الحوزة بمعنى من المعاني من حوزة علمية إلى حوزة طقوس وشعائر، أو إلى كيان يُسبح بحمد الحكومة ، لكي لا تضع الحوزة أصابعها على الجروح وتزعج الحكام ، وهو ما لم يتمكنوا منه .

٦-العمل على تحجيم الشعائر الحسينية ومن ثم إلغائها :

تعد ممارسة الطقوس والشعائر الدينية واحدة من الحقوق والحريات التي كفلها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عن هيأة الأمم المتحدة عام ١٩٤٨ ، فقد جاء في المادة الأولى منه ما نصه : ((لكل إنسان الحق في حرية التفكير والوجدان والدين ويشمل هذا الحق حرية الإيمان بدين او بأي معتقد يختاره وحرية إظهار دينه أو معتقده عن طريق العبادة وإقامة الشعائر والممارسة والتعليم سواء بمفرده أو مع جماعة وجهراً أو سراً)(التكريتي، ح. (المصدر نفسه). ص. ٦٧.).

أعلن العراق أمام المحافل الدولية التزامه بمبادئ الإعلان العالمي لحقوق الانسان ، فضلاً عن إن الحرية كانت واحدة من الأهداف المعلنة لحكومة العراق ما بعد عام ١٩٦٨، وتدعي العمل على تحقيقها ، بيد أنها كانت تعمل بالضد من ذلك تماماً ، وكانت الشعائر الإسلامية عموماً والحسينية ولاسيما من أولى الحريات التي حاربتها، وإن أظهرت إحترامها في الأشهر الأولى من استلامها السلطة عام ١٩٦٨،

وذلك من خلال بث الخطب الدينية والرواية الكاملة لمقتل الإمام الحسين ﷺ من الإذاعة العراقية في العاشر من محرم، وما أن حل شهر محرم في السنة اللاحقة (١٩٦٩) حتى بدأت السلطات بالتضييق على الشعائر الحسينية فمنعت بعض مواكب العزاء، وأملت شروطاً على الاخرى(مركز دراسات تاريخ العراق الحديث. (١٩٩٩). محنة العراق اليوم. قم، ص. ١٠٤-١٠٨.) ، وهكذا أستمر الموقف بين مد وجزر حتى عام ١٩٧٥ حين منعت السلطة خروج المواكب الحسينية ، وفي عام ١٩٧٦ تم منع خروج المسيرة الراجلة الى كربلاء المقدسة بمناسبة الذكرى السنوية لأربعينية الإمام الحسين ﷺ (البهادلي، ع. أ. (المصدر السابق). ص. ٣٥٩.).

أستهدف البعثيون من الإجراءات آنفة الذكر القضاء التدريجي على الشعائر الحسينية، مدعين بانهم يعملون على تشذيبها من الممارسات الخاطئة، وهذا ما أكدته وثائق لجنة تأريخ حزب البعث، ففي شباط عام ١٩٧٧ كتب عزة مصطفى في تقرير له بهذا الصدد بأن الهدف (من بعض الإجراءات التي إتخذتها قيادة الحزب... تشذيب بعض الممارسات السلبية منها [يقصد الشعائر الحسينية] والتي لا تنسجم وقيمة هذه المناسبة))(مركز دراسات تاريخ العراق الحديث. (المصدر السابق). ص. ١٠٤) . بينما ذكر في مكان آخر من التقرير نفسه بأنه تم منع خروج مواكب العزاء قبيل حلول مناسبة الذكرى السنوية لأربعينية الإمام الحسين ﷺ في عام ١٩٧٧، اذ جاء في التقرير المذكور ما نصه : ((ان المسيرة ستخرج بالرغم من توجيهات المحافظ التي تقضي بعدم خروج المواكب من النجف الى كربلاء))(المؤمن، ع. (المصدر السابق). ص. ١٣١-١٣٤؛ البهادلي، ع. أ. (المصدر السابق). ص. ٧٩.).

كذلك وثائق لجنة تاريخ حزب البعث على عدة أمور في مجال القضاء التدريجي على الشعائر الحسينية ، نذكر منها ما جاء في تقرير أعده وزير الداخلية عزة إبراهيم عام ١٩٧٧ ، وبخاصة ما ذكره في الفقرات : (١١، ١٢، ١٤، ٢٠، ٢١، ٢٢) التي نصت على :

١١- الإستمرار بتوعية الجماهير بحقيقة توجه الحزب الرامي إلى تخليص الدين والمناسبات الدينية المقدسة من الممارسات والتعبيرات الخاطئة...

١٢-السماح للمواطنين بإقامة مجالس العزاء الحسينية في المحافظات مع المحافظة على محدوديتها دون تقليص عشوائي وإتخاذ الإجراءات المناسبة بخصوص الموافقات والتعهدات.

١٤-العمل مع الممارسين والرواديد والقراء والخطباء وتوجيه قسم منهم إلى أن تكون قصائدهم وخطبهم موجهة لخدمة الحزب والثورة وتحذير المسيئين منهم ومساعدة المحتاجين منهم خاصة الذين يمارسون العمل بقصد العيش وإعتماد أرزاقهم على المناسبات المذكورة.

٢٠-تشريع قانون خاص يقضي بمنع رفع اللافتات السياسية والدينية في الشوارع والطرقات والمحلات العامة والخاصة الا بأذن من أمانة العاصمة او البلدية وتقدم الجهة أو المنظمة المخالفة إلى الجهات المختصة لمحاسبتها كذلك تطبيق تعليمات أمانة العاصمة بمنع الكتابات على الجدران ورسم الخطوط والصور الايرانية ومهما كانت أنواعها في جميع المناسبات وسيشمل هذا المناسبات الدينية والمناسبات الاخرى.

٢١-إعادة الاذهان الى القرارات السابقة بمنع جميع التبرعات والإعانات لأي جهة كانت إلا بعد موافقة وزارة الداخلية والحصول على كتاب يؤيد ذلك.

٢٢-تطبيق قانون منع الضوضاء فيما يخص الفواتح وإستعمال السماعات وأجهزة التسجيل)) (التكريتي، ح. (المصدر السابق). ص. ٦٧.).

إن ما ورد في التقارير أعلاه يكشف عن تناقض صارخ في مضامينها ، فمن جهة تؤكد على أن نية الحزب والحكومة تشذيب الشعائر الحسينية ، ومن جهة اخرى تؤكد على العمل بمختلف الوسائل والأساليب على الحد من تلك الشعائر وتقليص مظاهرها بالتدريج تمهيداً لمنعها بالكامل، فاذا كان خروج مواكب العزاء والمسيرات الراجلة ممنوعاً ، ورفع اللافتات والصور والشعارات وجمع التبرعات ممنوعاً ايضاً ، الى جانب فرض اسلوب معين على الخطباء وقُرّاء المواكب ، الغرض منه التمجيد بحزب البعث ونظام الحكم الذي يسيطر عليه ، وتهديد كل من لا يلتزم بذلك بأشد أنواع العقوبات ، إذاً ما الذي بقي من الشعائر الحسينية حتى يشذب بعد هذه الممنوعات؟ . إن هذه الأساليب تكشف بوضوح النوايا الحقيقية للسلطة، والمبنية على أساس القضاء بشكل كامل على إحياء ذكرى ثورة الإمام الحسين عليه السلام ، التي يعد رفض الظلم أحد أهم أهدافها.

وهكذا نرى أنّ حكومة البعثيين قد تعاملت بقسوة شديدة مع التيار الإسلامي بجميع مكوناته سواء كانت سياسية أم شعبية أو حوزوية ، إذ أعدمت عدد غير قليل من الشباب المتدين ، وزجت بآخرين في السجون بدعوى انتمائهم الى أحزاب او حركات إسلامية ، فضلاً عن اعتقال أعداد اخرى من أبناء هذه الحركات وإعدامهم أو سجنهم(التكريتي، ح. (المصدر نفسه). ص. ٦٨-٧١.) ،

في الوقت الذي أخذت فيه قوى سياسية أخرى ، مثل الشيوعيين على وجه الخصوص ، تتمتع بوجود علني بفضل موقفها الداعم للسلطة بعد إنضمامها عام ١٩٧٣ إلى ما أصطلح عليه بـ (الجبهة الوطنية والقومية التقدمية) (بطاطو، ح. (المصدر السابق). ص. ٣٠٤.) في حين كانت هذه القوى والى وقت قريب من التاريخ المذكور من ألد أعداء البعثيين .

ويبدو واضحاً من خلال المعطيات التي أوردناها، أن الدوافع الكامنة وراء العنف المفرط الذي مارسه البعثيون ضد الوجود الإسلامي عموماً ، تتركز في خوف البعثيين من منافسة الإسلاميين لهم على السلطة وبخاصة بعد فراغ الساحة من أي منافس قوي آخر ، نظراً لما للإسلاميين من قدرات وزخم شعبي كبير، وعليه لم يكن سبب القسوة التي مورست ضد الإسلاميين غايتها محاربة المظاهر الرجعية، أو تشذيباً للشعائر والممارسات الدينية كما أدعى البعثيون .

أسهمت هذه الأسباب مجتمعة في خلق أجواء مشحونة بالتوتر والبغضاء تجاه السلطة، الأمر الذي جعل الأرضية مهيأة بما فيه الكفاية لانفجار الوضع في أية لحظة، وكان منع خروج المسيرات الراجلة من النجف الأشرف إلى كربلاء المقدسة إحياءً للذكرى السنوية لأربعينية الإمام الحسين عليه السلام بمثابة الشرارة التي أشعلت فتيل الانتفاضة.

السبب المباشر

تعد الشعائر الحسينية وسيلة من وسائل تبليغ الرسالة الإسلامية ونشر مفاهيمها وعلومها فضلاً عن كونها تعبيراً عن رفض الظلم والتسلط اللا مشروع ، لذا كانت السلطات تحذر منها كثيراً خاصة الشعائر التي تشهد إقامتها تجمعات جماهيرية كبيرة مثل زيارة الأربعين ، خشية أن يتحول الغضب الجماهيري في مثل هذه المناسبات إلى ثورة عارمة تهدد وجود السلطة ، لذلك جاء قرار منع خروج المسيرات الراجلة إلى

كربلاء في صفر ١٣٩٧هـ / شباط ١٩٧٧م لإحياء الذكرى السنوية لأربعينية الإمام الحسين عليه السلام ، إذ كان هذا القرار بمثابة الشرارة التي أضرمت نار الانتفاضة بعد أن قوبل برفض وتحد معلن من الجماهير التي استهدفت من ذلك الحفاظ على إستمرارية الشعائر الحسينية(ل. ت. ح. ب. (الملفة ٢٦١). تقرير عزة مصطفى، ورقة ١٢.).

جاء التحدي العلني لقرار السلطة في أثناء اجتماع محافظ النجف الأشرف جاسم الركابي ببعض وجوه المدينة ورؤساء المواكب (ل. ت. ح. ب. (المصدر نفسه). ورقة ١٢) فيها يوم الخميس ٣ شباط ١٩٧٧، ولعل أهم ما دار في الاجتماع هو قيام المحافظ بإبلاغ الحاضرين قرار السلطة القاضي بمنع خروج المسيرات الراجلة الى كربلاء المقدسة، الأمر الذي رفضه الحضور بشدة(الدوري، ع. إ. (د.ت). التقارير العسكرية.).

لم يكتف أبناء مدينة النجف الأشرف برفضهم قرار المنع ، بل ذهبوا الى أبعد من ذلك بتأكيدهم للمحافظ بأن المسيرة ستخرج على الرغم من قرار المنع ، وحددوا الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم التالي للإجتماع موعداً لخروج المسيرة(ل. ت. ح. ب. (المصدر نفسه). ورقة ٥.) ، جاء ذلك على لسان عباس هادي عجينة الشاعر الحسيني وأحد رؤساء المواكب الذي أضاف مخاطباً المحافظ والحاضرين قائلاً : ((كلكم يا أهل النجف تسمعون ما يقوله المحافظ بإنه ممنوع الذهاب إلى زيارة الإمام الحسين عليه السلام مشياً على الأقدام فأنتم تعرفون ما تفعلونه... غداً الساعة الحادية عشرة الجميع متفقون على الذهاب لزيارة الإمام الحسين عليه السلام مشياً على الأقدام واذا عندك شيء [الكلام هنا موجه للمحافظ] أخبرهم به))(ل. ت. ح. ب. (المصدر نفسه). ورقة ٣.) ، وتؤكد الوثائق أن أهالي النجف الأشرف قد تناقلوا كلام عباس هادي عجينة وعدوه موقفاً بطولياً(شطناوي، ف. (٢٠٠١). حقوق الإنسان والقانون الدولي الإنساني (ط. ٢). عمان، ص. ٧٨-٧٩.) ، وهو كذلك كونه كلمة حق عند سلطان جائر.

أكدت وثائق لجنة تأريخ حزب البعث بان اهالي النجف الاشرف كانوا مصرين على مسألة خروج المسيرات الراجلة ، وإمعانا منهم في تجاهل قرار المنع تحدث أحدهم إلى المحافظ قائلاً : ((المسيرة سوف تخرج غداً الجمعة فما هي توجيهاتكم))(المؤمن، ع. (المصدر السابق). ص. ١٦٤؛ النعماني، م. ر. (١٩٨٦). الشهيد الصدر: سنوات المحنة وأيام الحصار. قم، ص. ٢٠٨.) ، في حين تساءل آخر مستغرباً منع خروج المواكب الحسينية في الوقت الذي تجيز فيه الحكومة فتح الملاهي الإباحية ومحال بيع الخمور، اذ خاطب المحافظ في الاجتماع المذكور آنفاً بما نصه : ((أن المواكب عادة وحب الحسين عادة فلماذا تمنعونها ولا تمنعون الفسق وشرب الخمور))(الموسوي، ر. (١٩٨٣). انتفاضة صفر الإسلامية في العراق، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م (ط. ٢). قم، ص. ٥٢-٥٤.) ، وهكذا قد أنفض الأجتماع دون أن ينجح المحافظ في ثني النجفيين عن ممارسة شعائرهم الدينية .

ثالثاً : أحداث الأنتفاضة

إن ما ينبغي تأكيده قبل الخوض في تفاصيل الأحداث هو أن الأنتفاضة كانت حدثاً شعبياً محضاً لا تقف وراءه أي جهة سياسية ، وهذا ما تؤكده العديد من المصادر(ل. ت. ح. ب. (المصدر نفسه). ورقة ١.) ، وهو عين ما أكده لنا السيد رعد الموسوي القيادي في حزب الدعوة الأسلامية وأحد المشاركين البارزين في الأنتفاضة بصفته الشخصية وليست الحزبية الذي أكد كذلك بأن حزب الدعوة الاسلامية في وقت حدوث الانتفاضة كان يعيش مرحلة البناء الفكري أو ما أطلق عليه بالمرحلة التغييرية ، ولم تكن له أية علاقة بالتخطيط او الإعداد للانتفاضة(ل. ت. ح. ب. (المصدر نفسه). ورقة ٣.) .

وزعت قبل عدة أيام من الأنتفاضة منشورات تدعو إلى إحياء الذكرى السنوية

لأربعينية الإمام الحسين عليه السلام من خلال المشاركة بالمسيرة الراجلة إلى مدينة كربلاء المقدسة حيث مرقد الإمام ، وتم لصق بعض هذه المنشورات على جدار الصحن الحيدري الشريف ، ومما جاء في هذه المنشورات: ((يا شباب النجف تهيئوا لزيارة الإمام الحسين عليه السلام مشياً على الأقدام))(ل. ت. ح. ب. (المصدر نفسه). ورقة ٢.) ، وبجانب المنشورات كان التبليغ بموعد خروج المسيرة يتم بشكل شخصي من قبل بعض الشباب الناشط في مثل هذه المناسبات ، فضلاً عن دورهم في قيادة المسيرة وتعبئة الجماهير عن طريق التشجيع والحث على المشاركة في الشعائر الحسينية ، ولعل أبرز من قام بهذه الادوار كل من : كامل ناجي مالو وناجح محمد كريم وجاسم صادق الإيرواني ومحمد سعيد البلاغي ويوسف ستار الاسدي وصاحب رحيم ابو كلل وغازي جودي خوير وعباس هادي عجينة ، بحسب ما جاء في أوراق الهيأة التحقيقية الخاصة في سجن رقم واحد(مركز دراسات تاريخ العراق الحديث. (المصدر السابق). ص. ٦٩) ، ويؤكد رعد الموسوي هذا الأمر بوصفه أحد المخططين للإنتفاضة بحسب ما ذكره(التكريتي، ح. (المصدر السابق). ص. ٧١.) ، ويضيف الموسوي إى الأسماء المتقدمة كل من السيد وهاب عزيز الطالقاني وعدنان الشامي الذي لم يلق القبض عليه بعد إنتهاء أحداث الأنتفاضة وجميع هؤلاء من أبناء مدينة النجف الأشرف وممن عرف عنهم المشاركات الفاعلة في إحياء الشعائر الحسينية ، وكان لهم الدور الأبرز في قيادة الانتفاضة(هاريس، د. (٢٠١٠). تاريخ الشيعة في العراق الحديث. بيروت، ص. ٢٥.) .

تجمعت مواكب العزاء الراجلة في الصحن الحيدري الشريف صباح يوم الجمعة الموافق ١٥ صفر ١٣٩٧هـ / ٤ شباط ١٩٧٧م ، وعلى نحو

ما هو مخطط له مسبقاً فقد أنطلقت المواكب في الساعة الحادية عشرة صباحاً ، وطافت شوارع المدينة مرددة الشعارات الخاصة بالمناسبة ، ثم أتجهت صوب الطريق الرئيس الواصل بين مدينتي النجف الأشرف وكربلاء المقدسة ، وأخذت المسيرة تزداد حجماً كلما واصلت المسير ، يتقدمها راية خضراء كبيرة(م. ع. (٢٠٠٦). مشروع إحياء التراث الشيعي. العراق، ص. ١٥٣.) كتب عليها ((يد الله فوق أيديهم)) (القريشي، ب. ش. (المصدر السابق). ص. ٢٥٧.) . وكان هذا الحدث يمثل بداية الأنتفاضة ، إذ نفذت الجماهير تحديها ولم تلتزم بقرار السلطة .

تعرضت المسيرة داخل مدينة النجف الأشرف إلى مضايقات رجال الأمن وعناصر حزب البعث ، الذين حاولوا تفريقها غير أنهم فشلوا لضخامة المسيرة وإصرار الجماهير على مواصلتها(العلوي، ح. (المصدر السابق). ص. ٢٣٠.) ، إذ قدر أحد المصادر أعداد المشاركين فيها بمائتين وخمسين أف شخص(الفريجي، ع. (المصدر السابق). ص. ١٥-١٧.).

تحولت مسيرة العزاء إلى مظاهرة تحد كبرى للسلطة ، وواصل المتظاهرون المسيرة حتى وصلوا خان الربع ، وهو من الأماكن المعدة لإستراحة زوار العتبات المقدسة ويبعد عن مدينة النجف الاشرف قرابة (١٥كم)(الهاشمي، ع. (المصدر السابق). ص. ٥-٦.) ، وباتوا ليلتهم في الخان المذكور ، بعد قيامهم بالعديد من الإجراءات منها إقامة نقاط حراسة ورصد خوفاً من مداهمة الخان من قبل أجهزة السلطة التي ظلت تراقب المسيرة عن كثب ، لذلك أستعمل الزوار المتظاهرون بعض المصطلحات مثل ((برغش)) للدلالة على المرتبطين بأجهزة السلطة من المندسين بين صفوف المتظاهرين(السعيدي، إ. ع. م. (المصدر السابق). ص.

٨٧-٨٩.) ، وأعتمد صاحب رحيم أبو كلل كلمة (حيدر) سراً لليل ، فضلا عن قيام مجموعة من المتظاهرين بتجميع الحجارة فوق سطح الخان لاستعمالها في حال مداهمة الخان، وقد جاءت هذه الاجراءات بنتائج إيجابية عندما قامت أجهزة السلطة بمداهمة الخان ومحاولة إلقاء القبض على من فيه خلال الليل ، وفي صباح اليوم التالي ١٦صفر / ٥ شباط لكنها فشلت بسبب يقظة الحراس الذين أمطروا القوة المداهمة بالحجارة في الليل ، وأشتبكت معها بالسكاكين والحجارة في الصباح ، الأمر الذي أجبر تلك القوة على التراجع(العلوي، ح. (المصدر السابق). ص. ١٢٢-١٢٥.).

أتجهت المسيرة بعد خروجها من الخان صباح الخامس من شباط نحو الطريق الرئيس بإتجاه كربلاء وفي خلال ذلك كانت المسيرة تزداد حجماً وسيطرت على الطريق المذكور ، وأخذت تهاجم السيارات الحكومية المارة ملحقةً بها بعض الأضرار(العلوي، ح. (المصدر السابق). ص. ١٥٦-١٥٨. ، وبدأت شعارات المتظاهرين تأخذ طابعاً آخر أتسم بالعداء للنظام السياسي القائم ومن بين تلك الشعارات : ((هلله هلله حسين وينه كطعوا العادة علينه - هلله هلله حسين وينه عفلق اتآمر علينه))(الفريجي، ع. (المصدر السابق). ص. ٢١-٢٢.). ونستدل من هذا الشعار على ان الجماهير كانت واعية للمؤامرات التي تحاك ضدها وضد شعائرها .

واصل المتظاهرون طريقهم إلى خان النص(الهاشمي، ع. (المصدر السابق). ص.٨.) ، بروح ملؤها التحدي والحماسة وقبل وصولهم الخان المذكور خطب صاحب رحيم ابو كلل بالمسيرة قائلاً باللهجة العامية : ((أهل النجف أ هل الغيرة أولاد علي بن أبي طالب أولاد الحسين أريدكم مثل ما كتلكم [قلت لكم] كل إحـنه

سـوه [كلنا سويةً] إنـطب [ندخل] الـخان النص ونشيل [ونرفع] رايـه مـثل ما شلنـه [رفعنا] بالنجف رايه . ما أقبل كل واحد إيعارضله [يتعرض] سيارة ، هذوله [هؤلاء] كلهم جايـين [قادميـن] زوار ، وكلهم... ما أقـبل ما أقـبل لاضرب وي [مع] الأمن الحكـومة كلـهه [كلها] واكفة [واقفة] ضدنه(ضدنا)) (الفريجي، ع.(المصدر السابق).ص.٣٤.).ونفهم من كلام أبو كلل إنه طالب المتظاهرين بعدم التفرق والمحافظة على وحدة المسيرة وتماسكها عند دخول منطقة خان النص ، وعدم التعرض بسوء لعناصر الأمن والسيارات المارة ، مؤكداً كذلك على أن الحكومة بجميع أجهزتها تقف ضد مسيرة الزوار المنتفضين ، ويمكن تفسير هذه المطالب من جانب أابو كلل بأنها أستهدفت عدم إعطاء ذريعة أخرى للسلطة لقمع الإنتفاضة من جهة ، وعدم إعطاء الفرصة للسلطة للقضاء على الإنتفاضة بسهولة اذا ما تفرقت مسيرة الزوار في حال دخولها منطقة خان النص ، لذا طالب بعدم تفرق المسيرة والمحافظة على تماسكها وإلتفافها حول رايتها التي رفعت في النجف الاشرف.

قرر المتظاهرون عند وصولهم خان النص أن يمضوا ليـلة الخـامس على السـادس من شباط / ليلة السابع عشر من صفر في الخان المذكور(الفريجي، ع. (المصدر السابق). ص. ١٠٢-١٠٤.) ، وأتخذوا لأجل ذلك العديد من الإجراءات من بينها تشديد الحراسة حول الخان ، وعمدوا إلى إستخدام بعض المصطلحات وكلمات السر للتعارف فيما بينهم ، بغية منع تسلل عناصر حزب البعث أو الأجهزة الأمنية الأخرى بين صفوفهم(السعيدي، إ. ع. م. (المصدر السابق). ص. ٩٠-٩٢.) ، فضلاً عن تفتيش المشتبه بهم ومطالبتهم بإبراز بطاقاتهم الشخصية(الغريفي، م. الم. (المصدر السابق). ص. ٦٢-٦٣.).

حاول أحد عناصر الأجهزة الأمنية دخول مبنى خان النص صباح يوم الأحد ١٧صفر / ٦ شباط غير أنه فشل في ذلك، إذ بدى عليه الإرتباك حين طلب منه الموكلون بحراسة الخان تعريف نفسه وإبراز بطاقته الشخصية ، فالقي القبض عليه ، وبعد تفتيشه وجدوا بحوزته قائمة تضم أسماء بعض المشاركين في الانتفاضة وأرقام مركبات كانت تقوم بإمداد مسيرة الانتفاضة بالمواد الغذائية فتم إقتياده إلى حسينية قريبة في الخان وأوسع هناك ضرباً حتى أُغمي عليه ، وعلى أثر ذلك قام الزوار بتظاهرة صاخبة نددت بالنظام(الحسيني، م. (المصدر السابق). ص. ٢٠١.)، ومن بين الهتافات التي رددت في هذه التظاهرة :

((صدام شيل إيدك شعب النجف ما يريدك - يجاسم(القريشي، ب. ش. (المصدر السابق). ص. ٢٦٠. كله للبكر الحسين ما ينسي))(الفريجي، ع. (المصدر السابق). ص. ٤٥-٤٦.). وكذلك ((يجاسم كله للبكر تره حسين منعوفه)) (الدجيلي، أ. (المصدر السابق). ص. ٤٥.). وبعد أن طافت التظاهرة مختلف أرجاء ناحية الحيدرية التي يقع فيها مبنى خان النص، خرجت من الناحية متجهة صوب مدينة كربلاء المقدسة في الوقت الذي تعرض فيه للإعتقال بعض من بقي من الزوار في مبنى خان النص وماأن وصل نبأ إعتقالهم إلى المتظاهرين، الذين لم يبتعدوا كثيراً من ناحية الحيدرية ، حتى رجعت مجموعة كبيرة منهم إلى الناحية(الموسوي، ر. (المصدر السابق). ص. ١٠٤.) ، الأمر الذي أدى الى حدوث اشتباكات بين المتظاهرين والشرطة في معاونية شرطة ناحية الحيدرية(الأسدي، ن. ح. (المصدر السابق). ص. ٩٠-٩١.) ، نجح خلالها المتظاهرون في إطلاق سراح المعتقلين(الحكيم، م. ب. (المصدر السابق). ص. ٧٥-٧٦.).

أطلقت الشرطة العيارات النارية على المتظاهرين في اثناء الاشتباكات المذكورة، الأمر الذي أودى بحياة امرأة وصبي في الرابعة عشرة من العمر يدعى السيد عبد الامير الميالي ، فضلاً عن سقوط عدد من الجرحى(المركز العربي للدراسات. (٢٠٠٧). تقرير عن الوضع السياسي في العراق. عمان، ص. ١٤٢-١٤٥) ، والتأم شمل المتظاهرين مرة أخرى ورفعوا ثوب الصبي الملطخ بالدماء وهم يهتفون ((شلون ترضه يا علي بالرشاش يرمونه))(الهاشمي، ع. (المصدر السابق). ص. ١٢.) . وهذا ما زاد في حماس المسيرة التي واصلت طريقها نحو كربلاء المقدسة بإصرار أكبر، وكان لراية المسيرة التي كتب عليها((يد الله فوق أيديهم)) دور كبير في لم شمل المسيرة مرة أخرى(الموسوي المقرم، ع. ر. (المصدر السابق). ص. ١٩.) ، وكان ناجح محمد كريم يحمل الراية معظم الوقت(المجالي، ف. (١٩٩٩). تاريخ العراق الحديث. عمان، ص. ١٩٨.).

وصلت أنباء أشتباكات خان النص إلى مدينة النجف الاشرف ، الأمر الذي أوجد أجواءاً من التوتر والسخط على الحكومة ، وعلى أثر ذلك خرجت مظاهرة نسوية في شوارع المدينة وهي تردد الهتافات المعادية للحكومة (السعيدي، إ. ع. م. (المصدر السابق). ص. ٩٤) ، وبعدها وقفت المتظاهرات أمام مبنى المحافظة وهن يهتفن بسقوط النظام(الموسوي، ر. (المصدر السابق). ص. ٧٦-٧٧.) ، وقد ألتحق الرجال بالمظاهرة النسوية وهددوا بالخروج بمظاهرة عنيفة إذا لم يفتح الطريق ويسمح لهم بالذهاب إلى مكان الاشتباكات (خان النص) ، الأمر الذي أضطر السلطات إلى السماح لهم بالذهاب إلى موقع الأحداث (الهاشمي، ع. (المصدر السابق). ص. ٣٥-٣٧.) ، في الوقت الذي أعلنت فيه الحكومة عن قرارها بالسماح للمسيرات الراجلة بالتوجه الى مدينة كربلاء المقدسة بجانب السماح بإيصال الماء

والمواد الغذائية لتلك المسيرات على عكس ما كانت تعمل به سابقاً(الغريفي، م. الم. (المصدر السابق). ص. ٦٥.) ، وفسر هذا القرار على أنه محاولة من الحكومة لإمتصاص غضب الجماهير ، فضلاً عن حرصها على عدم إظهار المسيرة بمظهر التحدي من خلال كسرها قرار الحكومة ، لذا حاولت الاخيرة الاحتفاظ بماء الوجه فأعلنت عن السماح للمسيرات الراجلة بالتوجه الى كربلاء ، فأذا تمكنت من إيقافها فهذه غايتها وإن لم تتمكن من ذلك فستفسر الامر بأنه كان تحت نظرها وهي التي سمحت به(شمس الدين، م. (المصدر السابق). ص. ١١٢.).

ومهما يكن من أمر فإن مسيرة الزوار المنتفضين واصلت طريقها بإتجاه كربلاء حتى وصلت مساء ١٧ صفر/ السادس من شباط إلى خان النخيلة ، وهو كذلك من الأماكن المعدة لإستراحة زوار العتبات المقدسة ويقع على بعد (١٥كم) تقريباً من مدينة كربلاء(التكريتي، ح. (المصدر السابق). ص. ٤٨.) ، إذ قرر المنتفضون المبيت في الخان المذكور ، في الوقت الذي بدأت فيه الحكومة ترسل الوفود للتفاوض مع قادة الإنتفاضة وإبلاغهم قرارها السماح لهم بمواصلة المسير وجاء هذا الموقف بعد فشل الحكومة في إيقاف مسيرة الجماهير الزاحفة إلى مدينة كربلاء المقدسة ، تلك الجماهير التي أصرت على مواصلة الطريق رغم كل المعوقات ، وكان وفد يمثل وجهاء كربلاء على حد تعبير عزة مصطفى(الكليدار ال طعمة، ع. ح. (المصدر السابق). ص. ١٤٠.) ، أول الوفود التي وصلت خان النخيلة عصر يوم الاحد ١٧ صفر ١٣٩٧هـ / السادس من شباط ١٩٧٧م ، أذ أظهر هذا الوفد مخاوف أهالي كربلاء وقلقهم من دخول مسيرة الزوار إلى مدينتهم ، وطالب الوفد بعدم التعرض أي سلامة الناس وأمنهم وبعدم المساس بمحالهم ومتاجرهم(العلوي، ح. (المصدر السابق). ص. ٣٠٨.) ، وحاول الوفد إقناع الجماهير بالعدول عن إستخدام ((العنف

وترديد الهتافات المعادية للثورة)) على حد زعم عزة مصطفى في تقريره(البهادلي، ع. أ. (المصدر السابق). ص. ٦٤) ،وهذه المطالب جاءت على خلفية بث الحكومة إشاعة مفادها إن المسيرة عبارة عن مجموعة من المخربين والفوضويين والسراق جاءت لتعبث بأمن مدينة كربلاء المقدسة ، وكانت الغاية من الإشاعة صرف مواطني مدينة كربلاء عن تأييد المسيرة ، وحثهم على الوقوف ضدها(المركز العربي للدراسات. (المصدر السابق). ص. ١٤٥-١٤٦.) ، وقد قابلت جماهير المسيرة مطاليب الوفد بالاستهجان والاستنكار والإصرار على مواصلة المسيرة ، بعد أن لمست أن الوفد لا يمثل أهالي كربلاء بل ضم بعض العناصر المرتبطة بالنظام الحاكم(الحكيم، م. ب. (المصدر السابق). ص. ١٢٠.).

و جاء أيضا إلى خان النخيلة وفد من النجف الأشرف في نفس اليوم الذي جاء فيه وفد كربلاء، وما قيل عن وفد كربلاء من ناحية أرتباطه بالنظام الحاكم يقال أيضاً عن وفد وجهاء النجف، وقد قوبل الوفد الأخير بالطريقة نفسها التي قوبل بها الوفد الذي سبقه(الزبيدي، أ. (٢٠٠٥). التحولات السياسية في العراق. بغداد، ص. ٥٥-٥٦.).

أدرك النظام أن لا مجال لتهدئة الوضع من دون التماس المرجعيات الدينية في النجف الأشرف(الزحيلي، م. م. (المصدر السابق). ص. ١١٥-١١٦.) ، وذلك من اجل الحفاظ على الحد الأدنى من كرامته ، من خلال التدخل لإقناع جماهير الانتفاضة بالعدول عن ترديد الشعارات والهتافات المعادية له ولرموزه وبخاصة الرئيس أحمد حسن البكر ونائبه صدام حسين ، لذا لجأ الى المرجع الديني المعروف السيد محمد باقر الصدر(١٩٣٣ - ١٩٨٠) طالباً منه التدخل لحل الأزمة بإقناع الجماهير بالإقتصار

على ترديد الشعارات الحسينية ، وإبلاغهم بالتراجع عن قرار منع المسيرة ، وإنه لن يتعرض أحد للإعتقال فيما بعد ، وتعهد كل من محافظ النجف جاسم الركابي ووزير الداخلية عزة الدوري على لسان المحافظ بالإلتزام بتنفيذ هذه التعهدات(المؤمن، ع. (المصدر السابق). ص. ١٦٩-١٧٠.).

تردد السيد محمد باقر الصدر كثيراً قبل الموافقة على التدخل في القضية ، لأنه لا يثق بتعهدات الحكومة غير إنه وافق أخيراً أمام إصرار المحافظ ، حتى لا يُفسر إمتناعه عن التدخل بالقضية بأنه موقف معادٍ للحكومة ومؤيد للإنتفاضة ، فضلا عن رغبته في تخفيف رد فعل الحكومة تجاه الجماهير ، وتضييق دائرة الانتقام إلى اقل عدد ممكن من الضحايا ، معتقداً أن الحكومة ستتخذ أقسى الإجراءات ضد المشاركين في الانتفاضة بعد انتهاء مراسيم الزيارة(التكريتي، ح. (المصدر السابق). ص. ٧٥-٧٦.) .

أرسل السيد محمد باقر الصدر وفداً إلى جماهير الأنتفاضة ترأسه أحد كبار طلابه وهو السيد محمد باقر الحكيم (١٩٣٩ - ٢٠٠٣)(السعيدي، إ. ع. م. (المصدر السابق). ص. ١٠٠-١٠٢.) ، الذي وصل خان النحيلة في السادس من شباط ١٩٧٧ بعد حلول الظلام وأجتمع ببعض وجوه الانتفاضة في إحدى غرف الخان ، وكان يوسف ستار الأسدي المتحدث باسم جماهير الانتفاضة(الهاشمي، ع. (المصدر السابق). ص. ٤٢.) التي أبلغها السيد محمد باقر الحكيم بدعم المرجعية الدينية ووقوفها إلى جانبهم(الفريجي، ع. (المصدر السابق). ص. ٥٥-٥٦.) ، فضلاً عن إبلاغه إياهم بتراجع الحكومة عن قرار منع المسيرة في مقابل عدم ترديد الشعارات المعادية لها والاقتصار على الشعارات الحسينية ، وإذا ما تم تنفيذ ذلك

تتعهد الحكومة بعدم ملاحقة أو إعتقال أي شخص أشترك بالمسيرة(الغريفي، م. الم. (المصدر السابق). ص. ٦٨.) في الوقت الذي طالبت فيه الجماهير بما يأتي :

١. إعفائهم من مسؤولية ما حصل من أحداث .

٢. إطلاق سراح الموقوفين .

٣. السماح لهم بتشييع جنازة السيد عبد الأمير الميالي الذي سقط في مواجهات خان النص .

٤. السماح لهم بمتابعة المسيرة إلى كربلاء .

٥. تغلق المحلات كافة في مدينة كربلاء عند دخولهم إليها(الحسيني، م. (المصدر السابق). ص. ٢٠٥.) .

وجاء المطلب الأخير لإظهار نوع من التضامن مع المسيرة ، والاحتجاج على أعمال السلطة تجاهها بحسب تعبير السيد رعد الموسوي(الموسوي، ر. (المصدر السابق). ص. ١١٠) .

لقد أتفقت الحكزمة مع السيد محمد باقر الحكيم على أن يرافق المسيرة في مرحلتها الأخيرة من خان النخيلة إلى كربلاء المقدسة في صباح اليوم التالي(الأسدي، ن. ح. (المصدر السابق). ص. ٩٣-٩٤.) ، والتأكيد على ضرورة أن يبلغوا بتراجع الحكومة عن قرارها بصورة علنية ، لكي تستثمر ذلك في رفع الروح المعنوية للجماهير ، من أجل أن تستمر بعد ذلك في مواجهة الحكم الظالم ، وهو الهدف الذي سعى إلى تحقيقه السيد محمد باقر الصدر(المجالي، ف. (المصدر السابق). ص. ٢٠٠) .

ومهما يكن من أمر ، فقد أبلغ السيد محمد باقر الحكيم محافظ النجف بإتفاقه مع جماهير الأنتفاضة على أن يبلغ قرار الحكومة علناً ، وأتفق مع المحافظ على أن يعلن هو (السيد محمد باقر الحكيم)للجماهير عن تراجع الحكومة عن قرار منع

المسيرة بحضور المحافظ ، غير إن هذا الأتفاق لم ينفذ وتمت مهاجمة المسيرة في اليوم التالي(المركز العربي للدراسات. (المصدر السابق). ص. ١٤٨-١٥٠.) . لذا يمكننا أن نضع عمل الحكومة على إرسال الوفود في إطار محاولتها لكسب الوقت وإمتصاص غضب الجماهير ، فضلا عن ما ذكرناه من محاولة حفظ ماء الوجه من خلال إقناع الجماهير بعدم ترديد الشعارات المعادية لها .

كانت الحكومة قد وضعت قطعات الجيش في حالة الإنذار ، وأمرت بسحق الانتفاضة بلا رحمة ، إذ أوحت للجيش بإن هنالك تمرداً واسعاً أطلق من النجف يستهدف الإطاحة بالنظام ، وإن المتمردين يتلقون الدعم من جهات أجنبية(البهادلي، ع. أ. (المصدر السابق). ص. ٦٨.) ، وعليه تحركت بعض قطعات الجيش إلى منطقة خان النخيلة وطوقتها صباح يوم الاثنين ١٨ صفر ١٣٩٧ هـ / ٧ شباط ١٩٧٧ م(الحكيم، م. ب. (المصدر السابق). ص. ١٢٥.) ، لمنع مسيرة الانتفاضة من التقدم،إذ تم محاصرة المنطقة بعدة أرتال من الدبابات والمدرعات وقوة من المشاة معززة بالطائرات(الهاشمي، ع. (المصدر السابق). ص. ٤٨-٤٩.) ، فإضطرت الجماهير إزاء هذا الواقع الجديد إلى تغيير طريق مسيرتها بإتجاه بساتين النخيل بعد أن سد أمامها الطريق الرئيس(التكريتي، ح. (المصدر السابق). ص. ٨٠.) .

بدأت عمتيات إعتقال عشوائية واسعة النطاق بعد محاصرة خان النخيلة(المؤمن، ع.(المصدر السابق).ص.١٧٣-١٧٥) ، قامت بها عناصر الأمن والمخابرات مدعومة بالجيش ، الذي أظهر تعاطفاً كبيراً مع المتظاهرين بعد أن انكشف له زيف إدعاءات الحكومة ، وما هؤلاء الناس إلا زوار أبرياء جاءوا لإحياء مراسيم زيارة الأربعين متسلحين بالإيمان ، ولا يحملون معهم سوى بعض المواد الغذائية التي

وضعوها على الأرض عند قيام الجنود بتفتيشهم ، على عكس ما أدعت السلطة بأنهم متمردون يبتغون القيام بقلب نظام الحكم ، لذا كان العديد من الضباط والجنود لا يأخذون بجدية الأوامر الصادرة إليهم والقاضية بالتعامل بقسوة مع المشاركين في الإنتفاضة،بل على العكس من ذلك كانوا يسمحون للمتظاهرين بالهرب للتخلص من الإعتقال(الزبيدي، أ. (المصدر السابق). ص. ٦٠-٦١.) ، فضلاً عن المساعدة على هرب بعض المعتقلين الذين تنقلهم سيارات الجيش ، إذ كان سائقو تلك السيارات يسمحون للمعتقلين بالنزول من السيارات في أثناء نقلهم إلى المعتقلات(السعيدي، إ.ع. م. (المصدر السابق). ص. ١٠٥-١٠٧.) .

وحظيت الإنتفاضة بدعم مادي ومعنوي من مختلف طبقات المجتمع ، إذ كان كثير من المواطنين يمدون مسيرة الإنتفاضة بالماء والمواد الغذائية منذ خروجها من النجف الأشرف حتى وصولها خان النخيلة على الرغم من الإجراءات التعسفية للأجهزة الأمنية ، الأمر الذي عرّض كثيراً ممن قاموا بهذه المهمة للإعتقال بتهمة ((الأشتراك والأنضمام إلى المسيرة التخريبية وتقديم المعونة المادية لها من خلال إستمرار تموينها بالمواد الغذائية)) بحسب ما جاء في أوراق الهيأة التحقيقية لسجن رقم واحد العسكري(الغريفي، م. الم. (المصدر السابق). ص. ٧٠.) .

أسفرت عمتيات الإعتقال العشوائي عن إعتقال قرابة الثلاثين ألف شخص وزعوا على سجون النجف والكوفة والحلة وكربلاء وبغداد(الموسوي المقرم، ع. ر. (المصدر السابق). ص. ٢٥.) ، فيما أتجه كثير ممن أفلت من الأعتقال بإتجاه بساتين النخيل وواصلوا سيرهم باتجاه كربلاء التي وصلوها في اليوم نفسه ، أي يوم الاثنين الثامن عشر من صفر ١٣٩٧هـ / السابع من شباط ١٩٧٧ م ، وأدوا مراسيم زيارة

أبي الفضل العباس عليه السلام ومن ثم الإمام الحسين عليه السلام ، وفي الوقت الذي كان فيه الزوار داخل حرم الإمام الحسين عليه السلام بدأت عناصر الأمن بإغلاق أبواب الحرم الشريف ، ولم تبق إلا باب واحدة كانت في طريقها إلى الإغلاق ، فأسرع الزوار للخروج منها فيما كان أحد مفوضي الأمن يهم بإغلاقها(الزحيلي، م. م. (المصدر السابق). ص. ١٢٠-١٢١.) ، فعاجله غازي جوري خوير ، وهو من الوجوه البارزة في الإنتفاضة ، بطعنة خنجر تمكن الزوار على أثرها من الخروج من الحرم الحسيني الشريف(الدجيلي، أ. (المصدر السابق). ص. ٥٠.) . وهكذا أنتهت أحداث الأنتفاضة وتفرق المتظاهرون بعد مصادمات متفرقة داخل مدينة كربلاء وسط إستمرار عمليات الإعتقال(المجالي، ف. (المصدر السابق). ص. ٢٠٣.) .

أكد عزة مصطفى في تقريره المفصل عن الإنتفاضة بأن هنالك عوامل عدة ساعدت في إنطلاق الأنتفاضة وقد كتب هذه العوامل في تقريره تحت عنوان ((العوامل المساعدة لقيام المسيرة المعادية) ولعل أهم تلك العوامل الأتي نصه :

- مصادفة انطلاق المسيرة المعادية يوم الجمعة حيث استفاد منظميها من تعطيل الناس من أعمالهم .
- مصادفة العطلة الربيعية لنصف السنة الدراسية مما أتاحت الفرصة أكثر أمام الطلاب من الأحداث والشباب للانخراط بها .
- قبل يوم من المسيرة المعادية منح كثيرا من العسكريين والمدنيين إجازات اعتيادية ولعدة أيام)(الحكيم، م. ب. (المصدر السابق). ص. ١٣٠).

يبدو أن هذه العوامل قد أسهمت في زيادة عدد المشاركين في المسيرة ، غير إننا لا نعتقد إنها كانت سبباً رئيسا لانطلاقها ، إذ أن خروج مثل هذه المسيرة كان تقليدا جاريا يقام في أي وقت يصادف من السنة الميلادية سواء كانت هنالك عطلة ربيعية

أم لا ، أو صادف موعد إنطلاقها يوم جمعة أو يوم آخر ، كذلك يمكن ملاحظة أمر آخر بهذا الصدد إلا وهو مواصلة المسيرة في الأيام التالية ولم تقتصر على يوم الجمعة فقط ، إذ لا يكفي قطع الطريق بين مدينتي النجف الأشرف وكربلاء المقدسة مشياً على الأقدام في يوم واحد فقط وهذا أمر معروف ، لذا يرى الباحث أن المسيرة كانت ستخرج بوجود هذه العوامل أو من دون وجودها بفضل الإيمان العقائدي بمسألة إحياء الذكرى السنوية لأربعينية الإمام الحسين ﷺ عن طريق الخروج بمسيرات راجلة إظهاراً لمظلومية الإمام وتأييداً لثورته .

حاول النظام الحاكم عن طريق أجهزة إعلامه تشويه صورة الانتفاضة من خلال ربطها بجهات خارجية، اذ نشرت صحيفتا (الثورة والجمهورية) الصادرتين يوم الأربعاء ٩ شباط ١٩٧٧ خبراً مفاده إن الأجهزة الأمنية قد كشفت مؤامرة يقف وراءها النظام السوري ، تهدف تفجير مرقد الإمام الحسين ﷺ بالتزامن مع إحياء الذكرى السنوية لأربعينية الإمام ﷺ(الناصري، ع. (المصدر السابق). ص. ٧٧.) ، وهذا يعنى ان توقيت المؤامرة المزعومة كان بالتزامن مع أحداث الأنتفاضة ، للإيحاء بان المؤامرة صفحة متممة لها ، وهذا ما أكده عزة مصطفى في تقريره(الطائي، ر. (المصدر السابق). ص. ٩٢.) . في حين نشرت مجلة (ألف باء)تحقيقاً مطولاً تناولت فيه تفاصيل المؤامرة المزعومة وعرضت صورة لصبي أدعت أن اسمه محمد علي نعناع سوري الجنسية ، و ألقي القبض عليه في أثناء محاولته القيام بتفجير مرقد الإمام الحسين ﷺ صباح يوم الثلاثاء ٨ شباط ١٩٧٧(الكعبي، ج. (المصدر السابق). ص. ١٠١.) ،في حين ثبت فيما بعد زيف تلك المؤامرة المزعومة ، إذ كانت أجهزة الأمن في محافظة الديوانية قد رفعت لافتات تستنكر المؤامرة قبل يوم وقوعها(الصائغ، خ. (المصدر السابق). ص. ٦٥-٦٦.) .

رابعاً : مجريات التحقيق والمحاكمة الصورية

شكلت هيأة تحقيقية خاصة أطلق عليها اسم (الهيأة التحقيقية الخاصة في سجن رقم واحد)في معسكر الرشيد ببغداد ، لغرض التحقيق في أحداث الأنتفاضة أو ((أحداث الشغب في محافظتي النجف وكربلاء)) كما جاء في أوراق الهيأة التحقيقية المذكورة(الشمري، م. (المصدر السابق). ص. ٨٧.) ، وقد تشكلت هذه الهيأة بناء على ما جاء في قراري مجلس قيادة الثورة المرقمين (١٦٦)في ١٣ شباط ١٩٧٧ و (١٧٣)في ١٤ شباط ١٩٧٧(الخزعلي، س. (المصدر السابق). ص. ١٥٠.) .

باشرت الهيأة التحقيقية منذ تشكيلها بإستلام المعتقلين الذين قسمتهم على وفق أهمية الأدوار التي قاموا بها في الأنتفاضة ، وكان ذلك على النحو الآتي :

- مجموعة القياديين والموجهين للإنتفاضة .
- المشاركون في الانتفاضة ولم يثبت اشتراكهم في المصادمات مع الأجهزة الأمنية ، لكنهم اشتركوا في الهتافات ضد حكومة حزب البعث .
- المشاركون في المسيرة الراجلة ولم يثبت اشتراكم في الهتافات المعادية لحزب البعث وحكومته ، وفي الوقت نفسه لم يثبت إشتراكهم في المصادمات مع الأجهزة الامنية ، وقد إطلق سراح هؤلاء من قبل الهيأة التحقيقية وبموافقة اللجنة المشرفة عليها(الحداد، ن. (المصدر السابق). ص. ٧٣.) .

بلغ عدد المعتقلين في سجن رقم واحد (٢٥٠٢)معتقل ، وعدد المطلق سراحهم من هذا العدد من تاريخ التاسع من شباط ١٩٧٧ حتى العشرين من الشهر نفسه (٢٣٨١)معتقلا ، وبقيَّ رهن الاعتقال (١٢١)معتقلا في الوقت الذي أصدرت فيه الهيأة التحقيقية أمر القبض على (٣١٤)شخص القي القبض على (١٦٢) منهم

بحسب ما جاء في تقرير اللجنة المشرفة على التحقيق(التميمي، ك. (المصدر السابق). ص. ٤٤.) ، وعليه أصبح مجموع معتقلي السجن رقم واحد (٢٨٣)معتقلا ، ويبدو أن الأرقام المذكورة لا تمثل العدد الحقيقي لجميع المعتقلين ، بل تمثل فقط عدد المعتقلين في سجن رقم واحد ، في حين لم يأت تقرير رئيس اللجنة المشرفة على التحقيق على ذكر أعداد المعتقلين في بقية السجون الأخرى والتي أشارت إليها المصادر ، ويبدوا أن مَن بقي من معتقلي سجن رقم واحد هم من الذين وردت ضدهم إعترافات من معتقلين آخرين ، فضلا عن وجود أشرطة تسجيل بأصواتهم تثبت إشتراكهم في الأنتفاضة لذا حُمّـلوا تبعات الأحداث ، وأقتصر التقرير فقط على ذكرهم .

تعرض المعتقلون في أثناء التحقيق إلى مختلف أنواع التعذيب والحرب النفسية إلى الحد الذي تم فيه إعدام أحدهم أمام زملاءه من دون محاكمة ، كوسيلة للضغط النفسي لإجبار الاخرين على الإدلاء بمعلومات جديدة في حين كانت وسائل الإعلام الرسمية تحاول إظهار النظام بمظهر المراعي لحقوق الإنسان ، والمهتم بتوفير الإحتياجات الإنسانية للمعتقلين ، ففي تحقيقها الصحفي مع بعض المعتقلين نشرت مجلة (ألف باء)بهذا الخصوص ما نصه : ((ونحن ندخل غرفة التوقيف كانت أكياس البرتقال موضوعة على النافذة ، وأمامه [المقصود المعتقل صاحب رحيم ابو كلل] صحن من حساء الدجاج ...)(السامرائي، ح. (المصدر السابق). ص. ١١٥.) ، وفي عمود آخر من التحقيق نفسه تسأل المجلة عباس هادي عجينة السؤال الآتي : ((كيف عوملت بعد إلقاء القبض عليك))(الجبوري، ع. (المصدر السابق). ص. ٣٣.) ، فيجيب بحسب ما تدعيه المجلة بما نصه:((الهيئة [هكذا وردت في التقرير] التي أجرت التحقيق معي عاملتني بإنسانية))(الجبوري، ر. (المصدر السابق). ص. ٥٨.) . فيما قد ذكر العكس من ذلك تماماً في تقرير رئيس اللجنة المشرفة على

التحقيق ، اذ جاء في البند (٤) الفقرتين (ب – جـ)من التقرير المذكور وتحت عنوان (أسلوب التحقيق)ما يأتي نصه : ((ب – إستخدام الأجهزة الفنية التي توحي لهم بكشف الكذب وسيتعرض المتهم إلى أساليب تعذيب شديدة في حال كذبه .جـ – إستعمال العنف والضغط المعنوي والنفسي عن طريق تنفيذ الإعدام بحق ..... وهاب عزيز حميد الطالقاني الذي وردت عليه عدة إعترافات تدينه بالتحريض والأشتراك الفعلي في ترديد الهتافات المعادية حيث كان لهذا الإجراء اثرا كبيراً في إنهيار المتصلبين منهم ودفعهم للإدلاء بمعلومات جيدة أفادت التحقيق ...))(العبودي، ص. (المصدر السابق). ص. ٨١.) ، وفي السياق نفسه فقد جاء في الفقرة (و) من البند (٥) من التقرير المذكور وتحت عنوان (الصعوبات التي رافقت التحقيق)ما نصه : ((و – عدم إستيعاب سجن رقم (١) للمعتقلين وصعوبة السيطرة عليهم وتنظيمهم بالشكل الذي يساعد الهيئة [هكذا وردت في الوثيقة] التحقيقية في عملها ، إضافة إلى صعوبة تأدية الخدمات للمعتقلين وتوفير الطعام والأغطية الكافية لهم حيث قضى جميعهم فترة موقوفيتهم بدون أغطية تقيهم برودة الجو))(الغالب، ع. (المصدر السابق). ص. ١١٢.) . وبهذا نلمس بوضوح زيف ما ادعته أجهزة إعلام النظام بعد ان شهد شاهدٌ من اهلها .

يبدو أن النظام لم يكن مطمئنا بما فيه الكفاية للمؤسسة العسكرية ، فعلى الرغم من وجود المعتقلين في قبضته وفي سجن عسكري ، إلا انه ارسل رعيلاً من اللواء المدرع العاشر المعروف بولائه للنظام ، لتشديد الحراسة على السجن المذكور(السداسي، م. (المصدر السابق). ص. ٦٦.) ، الامر الذي ينم عن وجود ازمة ثقة بين النظام والمؤسسة العسكرية .

واعترف كذلك عزة مصطفى في تقريره بعدة حقائق اخرى لعل أهمها اشتراك عدد غير قليل من البعثيين في الانتفاضة ، تتراوح درجاتهم الحزبية ما بين مؤيد ومرشح للعضوية(السهيل، أ. (المصدر السابق). ص. ١٤٠.) ، اذ كان كثير منهم من بين المعتقلين(العلي، س. (المصدر السابق). ص. ١٠٢. ، الامر الذي يدل على عدم الأيمان بمبادئ حزب البعث من كثيرٌ من المنتمين إليه ، اذ غالبا ما يكون الإنتماء عن طريق الضغط أو التهديد بالحرمان من الوظيفة أو الدراسة ، وهذا ما أثبتته تجارب معاصري ذلك العهد .

أصدر مجلس قيادة الثورة قراراً في ٢٣ شباط ١٩٧٧ يقضي بتشكيل محكمة خاصة تكونت من ثلاثة من أعضاء القيادة القطرية لحزب البعث وهم عزة مصطفى رئيساً وعضوية كل من فليح حسن الجاسم وحسن علي لمحاكمة المعتقلين بتهمة المشاركة في الانتفاضة أو ما اطلق عليه ((حوادث الشغب))(المنصوري، م. (المصدر السابق). ص. ٩٧.) ، وفي اليوم نفسه التأمت المحكمة واصدرت قراراتها الاتية :

اولاً : الحكم بالإعدام على كل من :

١- عباس هادي عجينة

٢- صاحب رحيم ابو كلل

٣-يوسف ستار الأسدي

٤-كامل ناجي مالو

٥-محمد سعيد جواد البلاغي

٦- غازي جودي خوير

٧- ناجح محمد كريم

٨- محمد علي نعناع

ثانياً : الحكم بالسجن المؤبد على كل من :

١- وديع فاهم وداعة

٢- بلاسم ناجي جواد

٣- جمال أحمد سالم

٤- محسن جداوي جاسم

٥-علي نصير جاسم

٦- كامل خضير سياب

٧- باسم عبد الامير حسون

٨ - أموري رزاق عبد رحيمي

٩- هادي مرزه زاير

١٠- وعد سلطان حاجم ابو كلل

١١- راهي شاكر سماوي

١٢- أسعد سلطان حاجم ابو كلل

١٣- عباس كاظم جعفر فخر الدين

١٤- حسن جبر حمزة

١٥- محمد باقر الحكيم .

ثالثاً : الإفراج عن (٨٧)معتقل(المرشدي،ج. (المصدر السابق). ص. ٤٩.) .

وهذا يعني أن عدد الذين صدرت عليهم هذه الأحكام قد بلغ (١١٠)معتقلا، في حين ذكرناآنفا أن عدد من بقي رهن الأعتقال حتى يوم ٢٠ شباط ١٩٧٧ كان (٢٨٣) معتقل بحسب ما جاء في تقرير عزة مصطفى،وربما أطلق سراح العدد المتبقي بعد يوم ٢٠ شباط وقبل إنعقاد المحكمة مع معتقلي السجون الأخرى الذين لم يأت التقرير على ذكرهم ايضاً .

يبدو أن أثنين من أعضاء المحكمة وهما رئيسها عزة مصطفى والعضو فيلح

حسن الجاسم كانا غير راضيين عن قراراتها ، ويريان بانها جائرة ، وربما اعترضا على تلك القرارات قبل إنعقاد المحكمة ، إذ كانت علامات عدم الرضا تبدو عليهما في أثناء المحاكمة(الكيلاني، ب. (المصدر السابق). ص. ١١٨.) ، وهذا ما تجسد في تصرفاتهما ففي الوقت الذي تقتضي فيه الأعراف القانونية بان يقرأ رئيس المحكمة القرارات او الأحكام الصادرة عنها ، لكن العكس قد جرى في هذه المحكمة اذ كان العضو حسن علي هو الذي تولى قراءة قرارات المحكمة في حين كان رئيسها جالساً مطأطئ رأسه ، في حين كان العضو فليح حسن الجاسم يعبث بشعر رأسه، مولياً وجهه صوب احد الجدران ، وبعد المحاكمة اعتقلا بدعوى الاعتراض على قرارات المحكمة(الفخري، ع. (المصدر السابق). ص. ٦٥.) ، وبعد مرور شهر من الأعتقال صدر في ٢٣ / آذار / ١٩٧٧ من المؤتمر القطري الثامن لحزب البعث وفي جلسه استثنائية قراراً يقضي بطرد كل من عزة مصطفى وفليح حسن الجاسم من القيادة القطرية ومن الحزب وفصلهما من مناصبهما الرسمية(المصدر نفسه، تقرير عزة مصطفى، ورقة ٧.) .

يمكننا أن نسجل أكثر من ملاحظة على مجريات التحقيق والمحاكمة ، فضلا عن ما قد سجلناه سابقاً ولعل اهم هذه الملاحظات هي قصر المدة التي إستغرقها التحقيق إذ بلغت عشرة أيام من تاريخ تشكيل الهيأة التحقيقية في ١٤ شباط ١٩٧٧ حتى يوم المحاكمة ٢٣ / شباط ١٩٧٧ ، وإذا ما علمنا ان المجموع الكلي لعدد المعتقلين قد تجاوز الـ (٢٥٠٠) معتقل بحسب تقرير اللجنة المشرفة على التحقيق ،أدركنا حينئذٍ إن مدة التحقيق ليست قصيرة فقط بل كانت قياسية ، ولو قبلنا بكون المدة كانت كافية للتحقيق فلا يمكننا قبول المدة القياسية ، بل القياسية جداً التي جرت بها المحاكمة التي انعقدت في نفس اليوم الذي صدر فيه قرار تشكيلها والأغرب من ذلك انها اصدرت قراراتها في اليوم نفسه ايضاً ! ، فلنا والحال هذه

أن نتساءل متى تسنى للمحكمة مراجعة أوراق القضية والاستماع الى إفادات المتهمين وشهادات الشهود ؟ لتصدر أحكامها بناء على هذه الإجراءات البديهية لأية محاكمة. وعليه نعتقد انه لا مجال للشك في أن قرارات المحكمة قد أُعدت سلفاً ومن خارج المحكمة، وما تشكيل المحكمة وإنعقادها إلا مسألة صورية غايتها إيهام الناس وإفهامهم بأن النظام يحترم القانون ! .

لقد نجحت الأنتفاضة في خرق حاجز الخوف من السلطة من خلال التحدي العلني لقرار السلطة القاضي بمنع خروج المسيرات الراجلة إلى مدينة كربلاء المقدسة إحياء للذكرى السنوية لأربعينية الإمام الحسين ﷺ ، زيادة على أن السلطة أضطرت على خلفية تداعيات الأنتفاضة الى السماح بإحياء هذه الشعيرة الدينية الحسينية ولأكثر من سنة من السنين التي تلت الانتفاضة(ألف باء (مجلة)، بغداد، العدد ٤٤٠، ٢٣ شباط ١٩٧٧، ص ٤.) .

الخاتمة :

اتضح لنا من خلال البحث أن عداء حزب البعث في العراق للتحرك الإسلامي بجميع مكوناته سواء كانت شعبية أو حوزوية أو حزبية يعود إلى ما قبل العام ١٩٦٨، وقد تطور هذا العداء وأزداد ضراوة بعد إستيلاء البعثيين على السلطة في تموز عام ١٩٦٨ ، ولما كانت الحوزة العلمية في النجف الأشرف والشعائر الحسينية تعدان من أهم الواجهات الإسلامية ، لذا فأنهما نالتا من ضراوة ذلك العداء الشيء الكثير .

وقد حاول البعثيون ، بعد أشهر قليلة من إستيلائهم على السلطة عام ١٩٦٨ عزل الحوزة العلمية عن قواعدها الشعبية وتحويلها من كيان ديني يُعنى بهموم الأمة وتطلعاتها إلى حوزة طقوس وشعائر أو إلى كيان يسبح بحمد الحكومة ، للحد من

تأثيرها في المجتمع ، وقد جرت هذه المحاولات على وفق خطة نفذت على مراحل، إذ أن البعثيين كانوا يرون في الحوزة العلمية منافساً قوياً له نفوذ وتأثير كبير في المجتمع أكثر مما للحكومة التي يقفون هم على رأسها . بيد إنهم فشلوا في مسعاهم، وبقي العديد من أعلام الحوزة العلمية متواصلين مع قواعدهم الشعبية كلٍ بحسب ظرفه .

سعى حزب البعث كذلك إلى القضاء التدريجي على الشعائر الحسينية التي يرى في شعاراتها وتجمعاتها الجماهيرية الحاشدة خطراً كبيراً يهدد وجوده، لذا عمل على الحد من ممارستها وتقليصها تمهيداً لإلغائها ، مدعياً العمل على تشذيبها ، وما كان قرار منع خروج المسيرات الراجلة الى مدينة كربلاء المقدسة في عام ١٩٧٧ إلا خطوة في هذا المجال ، وهو ما أدى الى إشعال فتيل الانتفاضة .

تعد الانتفاضة تمثيلا صادقاً للتحرك الجماهيري الشعبي المحض، الذي لا تقف وراءه أي جهة سياسية على خلاف ما أراد النظام إظهاره عن طريق أجهزة إعلامه التي حاولت ربط الأنتفاضة بجهات خارجية وهو ما قد ثبت زيفه.

حظيت الانتفاضة بدعم الحوزة العلمية في النجف الاشرف ممثلة بالمرجع المعروف السيد محمد باقر الصدر، الذي أرسل إلى الجماهير وفداً برئاسة السيد محمد باقر الحكيم للتعبير عن تأييده ووقوفه إلى جانبهم ، فضلا عن ما حظيت به الانتفاضة من دعم شعبي كبير تجسد بإمداد جماهيرها بما تحتاج إليه من ماء وطعام، على الرغم من الإجراءات المشددة التي إتخذتها الحكومة ضد من يقوم بهذه الأعمال.

تبّين من خلال هذا البحث أن الانتفاضة قد كشفت عن عدم قناعة طائفة كبيرة من البعثيين بمبادئ حزبهم، بدليل مشاركة أعداد كبيرة منهم في الانتفاضة، زيادة على ظهور بوادر ازمة ثقة ما بين النظام والمؤسسة العسكرية، فضلا عن بروز

عدم الانسجام داخل قيادة حزب البعث ، الامر الذي أدى الى إقالة اثنين من أعضاء القيادة القطرية للحزب من مناصبهم كافة ، فضلا عن طردهما من الحزب على خلفية تداعيات أحداث الانتفاضة .

أسهمت الانتفاضة في كسر حاجز الخوف من السلطة من خلال التحدي الجماهيري العلني لقرار منع إحياء الذكرى السنوية لأربعينية الإمام الحسين عليه السلام على العادة الدارجة، الأمر الذي أسهم في المحافظة على إقامة الشعائر الحسينية.

وهكذا يبدو للمتتبع أن إنتفاضة النجف عام ١٩٧٧ لم تكن حادثاً عرضياً جاء نتيجة رد فعل آني ضد قرار منع إحياء الشعائر الحسينية ، بل إنها جاءت نتيجة عوامل وتراكمات كثيرة محورها المواقف السلبية للسلطة من التحرك الإسلامي عموماً والشعائر الحسينية على وجه الخصوص ، وما كان الموقف من الأنتفاضة إلا حلقة من سلسلة طويلة لمخطط وضع لخنق التحرك الإسلامي في العراق منذ الأيام الاولى لاستلام البعثيين مقاليد الحكم فيه عام ١٩٦٨ ، وقد كانت الشعائر الحسينية ولا زالت مظهراً مهماً من مظاهر التحرك الإسلامي الشعبي المعبر عن رفض الظلم، وقد سعى أبناء النجف الاشرف للمحافظة على إقامتها ، والانتفاضة خير دليل على ذلك ،لذا لا نجانب الحقيقة إذا ما قلنا أن الأنتفاضة صفحة مشرقة في سفر نضال أبناء النجف الأشرف ضد حكام الجور .